سلسلة
من أعلامنا
٣

الإمام القلعي

إعداد/ محمد بن مسلم المهري



بيت الغشّام
للنشر والترجمة

البرنامج الوطني لدعم الكتاب

عاصمة الثقافة الإسلامية
Nizwa, Capital of Islamic Culture
2015

الإمام القلعي

الإمام القلعي المختلف على أرض منشئه بين الشا
والمغرب وتلقيه العلم في مصر و زبيد فقد أنـا
ركابه في مرباط فكانت مستقره الأخير و مثوا
الأبدي إلى معاده،وعليه فإنه مرباطي، ظفاري
عماني، وبهذا يحق لنا الفخر به كونه يذكر فـ
كتب السير أنه استقر في مدينة عمانية عريق
كمرباط، ولم يذكر له نهاية في غيرها، وجر
على العادة من تجميع كل ما كتب عن العلماء فـ
الندوات السابقة فقد شرفت بجمع هذا الكتا
(الإمام محمد بن علي القلعي و مسيرته العلمية
ويشتمل على أربع أوراق متقنة تناولت بحرفن
ترجمة الإمام محمد بن علي القلعي، وعصر
وبعضا من إنتاجه العلمي، أبان فيها الباحثون عـ
مكنون إبداعهم رغم شح المصادر والمراجـ
وضخامة الإرث العلمي الذي تركه لنا الإمام حس
قول أهل السير.

محمد بن مسلم المهري

ISBN 978-99969-0-433-2



سلسلة من أعلامنا (3)

الإمام القلعي

حصاد ندوة من أعلامنا

الاثنين 27 صفر 1434هـ الموافق 30 ديسمبر 2012م

إعداد: د. محمد بن مسلم المهري

الإمام القلعي

إعداد: د. محمد بن مسلم المهري

(كاتب من سلطنة عمان)

الطبعة الأولى: 2015 (مسقط)

يصدر بالشراكة مع:



بيت الغشام للنشر والترجمة

مؤسسة:

التكوين للخدمات التعليمية والتطوير

(سلطنة عُمان - مسقط)

للتواصل: هاتف: 99260386

ص.ب: 745 الرمز البريدي: 320

www.altakween.com





هاتف: 24563401-24563400

البريد الالكتروني:

info@clturalclub.org

www.clturalclub.org

لوحتا الغلافين: ضريح الشيخ القلعي الموجود في مرباط بمحافظة ظفار

التصميم الداخلي والغلاف: أحلام محمد سيف الرحبي

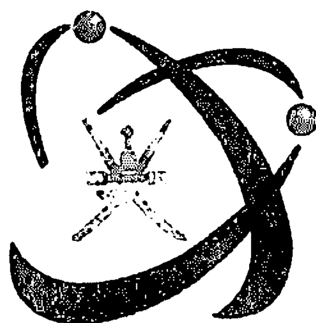
رقم الإيداع/ 465 /2014

رقم الإيداع الدولي (ISBN) 978-99969-0-433-2

الإمام القلعي

إعداد: د. محمد بن مسلم المهري

صدر بدعم



مجلس البحث العلمي

www.trc.gov.com

كلمة النادي الثقافي

بدأ النادي الثقافي مطلع عام ٢٠١٠م، وضمن مناشطه الأخرى - وهي كثيرة ولله الحمد - برنامج جديد ومميز، أطلق عليه (من أعلامنا). بهدف رصد الأسماء والتجارب الرائدة في المشهد الثقافي العماني، في مختلف الأنساق والتخصصات المعرفية والإبداعية التي برزوا فيها وكان لهم فيها بصمة واضحة، وإسهامات بارزة، بغية التوثيق لمسيرة أعلام عمان وإظهار منجزهم المعرفي، وحفظه، والتعريف به للأجيال القادمة.

البرنامج يسلط الضوء على السيرة الحياتية للشخصية، إلى جانب المقاربة النقدية لمنجزها الفكري والإبداعي، واستعراض دورها المعرفي، وأثرها في مختلف مناحي الحياة، من خلال تنظيم ندوات متخصصة تقدم دراسات شاملة ومعمقة لأهم مفاصل التجربة الثقافية للشخصية التي تتناولها الندوة.

يخصص البرنامج ندوة مستقلة لكل شخصية على حدة، يتولى متابعتها والإعداد لها أحد أعضاء مجلس إدارة النادي الثقافي، الذي يقدم تصورا عاما للندوة، ويرسم محاورها، وفق رؤية منهجية تغطي مختلف الجوانب الفكرية والثقافية في حياة هذا العلم من أعلام عمان، سواء من الذين انتقلوا إلى ربهم داعين لهم برحمة الله، أو الذين مازالوا على قيد الحياة. انطلاقا من إيمان النادي، ممثلا في مجلس إدارته، بضرورة إيلاء أعلامنا الاهتمام الذي

هم أهل له ويستحقونه بجدارة، من أجل تدارك منجزهم وحفظه، ودراسته، وإبرازه قبل فوات الأوان.

إلى جانب ذلك يقوم النادي الثقافي، بعد انتهاء الندوة، بجمع حصادها ومناقشاتها، وإخراجها في كتاب مستقل، ضمن إصدارات النادي.

جدير بالذكر أن برنامج (من أعلامنا) قد تم تدشينه بتاريخ ١١ أكتوبر ٢٠١٠م، بندوة حول العلامة الشيخ سالم بن حمود السيابي، التي صدرت أعمالها في كتاب، كما أقيمت الندوة الثانية العام المنصرم، حول الأديب عبدالله الطائي، وسوف تصدر أعمالها قريبا في كتاب مستقل، بإذن الله تعالى.

وقد خصصت الندوة الثالثة، هذه، لتتناول سيرة الإمام، أبي عبدالله الشيخ محمد بن علي القلعي – رحمه الله تعالى - إيمانا من النادي الثقافي بشمولية دوره في تعزيز الهوية الدينية والوطنية، ودعما لقوة النسيج الاجتماعي العماني المميز، الذي يغبطنا عليه الكثيرون.

وأعلام عمان كما تعلمون، كثر، ومنهم أولئك الذين انتقلوا من عمان، إلى خارجها، كالإمام جابر بن زيد، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وغيرهم الكثير ممن نعلمهم جميعا. فبرزوا في معارفهم، وبزوا أقرانهم في الأماكن التي استقروا فيها.

كما أن من هؤلاء الأعلام ممن قدم إلى عمان – لسبب أو لآخر – واستقر بقية حياته بها، وأثرى فيها جوانب شتى، علما وثقافة، كعلمنا هذا، الذي خصصت هذه الندوة لأجله، في هذه الأمسية المباركة، والتي سنسمع فيها

عددا من الأوراق البحثية، حيث ستكشف لنا جانبا من حياة هذا الشيخ، العلامة، وعن جهوده المخلصة في مجال التعلم والتعليم، والفتيا، والتأليف، وتبليغ دعوة الله إلى الناس.

وفي الختام - أيها الإخوة والأخوات - أتوجه، باسم النادي الثقافي، بالشكر الجزيل إلى كل من كان له دور في الإعداد والتحضير لهذه الأمسية المباركة، وأخص بالشكر الأساتذة الباحثين، الذين تكلفوا عناء البحث والتنقيب في المصادر والمراجع، ليخرجوا لنا بخلاصات قيمة، تلقي الضوء، وتعرفنا على علم جليل، قضى حياته بحثا وعلما ودعوة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه، باسم النادي الثقافي، بالشكر الجزيل للدكتور محمد بن مسلم المهري، الذي كان له فضل كبير في إنجاح هذه الندوة المباركة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صالح بن سليم الربخي

عضو مجلس الإدارة

المقدمة

الحمد لله الذي شرف العلماء أن جعلهم شهداء على وحدانيته حيث قال:

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

والصلاة والسلام على القائل: (العلماء أمناء الرسل) وبعد،،،،

يقول الأحنف: "كاد العلماء أن يكونوا أربابا، وكل عزّ لم يؤكد بعلم فإلى ذلّ ما يصير" ولقد صدق القائل: العلم أشرف الأحساب... والمودة أشدّ الأسباب" وبين شرف العلم والمودة لأهله وبين الاحتفاء بمنجزاتهم؛ اضطلع النادي الثقافي في برنامجه المميز "من أعلامنا" بإقامة ندوة للإمام القلعي رحمه الله تكريما لهذا الإمام وما قدمه للعلم والعلماء.

ولست هنا في معرض الحديث عن الإمام فقد أفاض الباحثون في هذا وكفوني المؤونة، ولكنني سأعرج على قاعدة ذكرها الإمام ابن حزم في أحقية نسبة العالم إلى المكان الذي استقر به وألقى عصا التسيار فيه حيث يقول:

"ذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة أحد، بل قد تيقنا إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات" [1]

١ - ابن حزم، رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٧، (١٧٥/٢)

وأخذا بهذه القاعدة فإن الإمام القلعي المختلف على أرض منشئه بين الشام والمغرب وتلقيه العلم في مصر و زبيد فقد أناخ ركابه في مرباط فكانت مستقره الأخير ومثواه الأبدي إلى معاده،وعليه فإنه مرباطي، ظفاري، عماني، وبهذا يحق لنا الفخر به كونه يذكر في كتب السير أنه استقر في مدينة عمانية عريقة كمرباط، ولم يذكر له نهاية في غيرها، وجريا على العادة من تجميع كل ما كتب عن العلماء في الندوات السابقة فقد شرفت بجمع هذا الكتاب (الإمام محمد بن علي القلعي ومسيرته العلمية) ويشتمل على أربع أوراق متقنة تناولت بحرفنة ترجمة الإمام محمد بن علي القلعي،وعصره، وبعضا من إنتاجه العلمي، أبان فيها الباحثون عن مكنون إبداعهم رغم شح المصادر والمراجع وضخامة الإرث العلمي الذي تركه لنا الإمام حسب قول أهل السير فقد ذكروا أنه ألف (تهذيب الرياسة وترتيب السياسة/ اللفظ المستغرب من شواهد المهذب / ايضاح الغوامض في علم الفرائض / أحكام العصاة والمرتكبي الكبائر من اهل الاسلام / قواعد المهذب / احترازات المهذب/ كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ / لطائف الأنوار في الصحابة الأبرار / أحكام المختصر) ومن بين هذا الزخم العلمي لم نظفر إلا بكتابين محققين ومخطوطة أتي بها من جمهورية تونس الشقيقة، وهنا تكمن صعوبة المهمة التي قامت بها هذه الثلة المميزة من الباحثين فلهم منا الشكر والتقدير.

وفي الختام لا يسعني إلا الشكر الجزيل لمن قام بهذه الندوة المباركة وأعد لها حتى قامت على سوق، شكرا جزيلا لإدارة النادي بداية بالشيخ/ سيف بن هاشل المسكري الذي كان راعيا للندوة ومشجعاً لها في بدايتها كفكرة إلى

أن أصبحت واقعا، ثم الشكر موصول لكل من مدير النادي / الشاعر المميز حسن المطروشي وأعضاء مجلس الإدارة الأكارم الذين غمرونا بوافر لطفهم و عظيم جودهم، وختاماً بكل القائمين على هذا النادي المشرف.

ويحضرني قول أبي تمام وكأنه يعني عالمنا رحمه الله:

ثَوَى في الثَّرَى مَنْ كانَ يَحيا به الثَّرَى
ويغمرُ صرفَ الدهرِ نائلُهُ الغمرُ

عليكَ سَلامُ اللهِ وَقْفاً فإنَّني
رَأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ

إعداد وتحرير/ الدكتور محمد بن مسلم المهري

ملامح عصر

الإمام محمد بن علي القلعي.

الحياة السياسية والفكرية في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي.

بقلم الباحث / سعيد بن خالد بن احمد العمري.

مقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحبه أجمعين وبعد،،

فقد خص الإسلام العلم والعلماء بأعلى الدرجات وأرفع المراتب فقال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة / ١١]، وقد صرح القرآن بعلو شأن العلماء عندما قرنهم بالملائكة في شهادة الوحدانية فقال: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران / ١٨]، فالعلماء ورثة الأنبياء كما نص الحديث الشريف، وهداة الأمة بعد رسولها وحملة رسالة الحق، ولهذا جعل الاسلام طلب العلم فريضة على المسلم وحث عليه وجعله دليلاً وميزاناً للحق والخير في الدنيا والآخرة، قال الرسول صل الله عليه وسلم: "من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين".

وبهذا خرجت الحضارة الاسلامية الى العالم حضارة علمية، ارتقى فيها العلم مرتقىً رفيعاً لم يرتقه في حضارات سبقته، بل إن الاسلام نزع عنه ما شابه من انحرافات فأعاد صياغته ليخرج صافيا للناهل من معينه، فكانت إبداعات العلماء المسلمين في مختلف أصنافه وأنواعه من العلوم الدينية والدنيوية التي تنفع الإنسان في دنياه وآخرته.

ومن بين العلوم التي ابدع العلماء المسلمون في اقامة صروحها وعمارة الارض بمنافعها تميز علم الفقه والعقيدة بالاعتناء الكبير والجهد العظيم، كيف لا؟!، وهو أساس الدين ودعامته وركنه الشديد، واعتبر الفقيه المجتهد لا يقل شأواً عن المجاهد المرابط في الثغور، ومن علامات التقدير للعلماء في الحضارة الاسلامية أننا نجد كثيرا من المؤلفات عن حياتهم وتراجمهم وطبقاتهم ومواطنهم وشيوخهم وتلامذتهم حتى اسماء زوجاتهم ومواليهم!، وقد كانت القرية أو الناحية التي يخرج فيها فقيه عالم تفاخر به أيما فخر، وينسب أهلها إليه فيقول المسؤول منهم عن بلده: أنا من بلد الفقيه الفلاني!، وذلك في زمن كان للعلماء الشأن الأعلى في تاريخنا. وهنا نحاول ان نقتفي هذا النهج من تقدير علمائنا والوفاء لتاريخهم، ففي بحثنا هذا سنزيح الستار وننفض الغبار عن قامة علمية وفقيه جليل كان له شأن عظيم في تاريخ هذه البلاد، وله على أهل زمانه وزماننا فضل لا ينكر، هو الإمام الحجة أبوعبدالله محمد بن علي بن الحسن القلعي، وسوف نستعرض حياته وندرس عصره من خلال احداثه السياسية والفكرية، ونسبر أغواره ونتتبع أطواره لنتعرف على هذا العلم ونستطيع الاحاطة بمعالم سيرته وصورة العصر الذي عاش فيه.

الفصل الأول:
ترجمة الإمام القلعي

- من هو الإمام القَلْعي ؟

هو الإمام العلامة أبوعبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي الشافعي مذهباً والزبيدي منشأً والمرباطي موطناً وموئلا . [1]

ويضبط القَلْعي بفتح القاف وسكون اللام نسبة الى قلعة اختلف المؤرخون في تحديدها على عدة أقوال كالتالي:

١- الشيخ محمد بن علي باطحن الظفاري (ت ٦٣٠هـ) صاحب رسالة (تحفة المريد في مناقب الشيخ تاج العارفين الظفاري) وهو من تلاميذ القلعي، يذكر أن أصل القلعي من الغرب المغرب ومولده بمصر ونشأته بزبيد في اليمن. [2]***

١ - انظر السلوك في طبقات العلماء والملوك، الجندي، ص ٤٥٣- ٤٥٥.

٢ - انظر مخطوط الدلائل والاخبار في خصائص ظفار، وزارة التراث والثقافة.

*** الشيخ محمد بن علي باطحن فقيه ظفاري من تلاميذ تاج العارفين الظفاري عاش في القرن السابع الهجري ووضع رسالة في مناقب شيخه وهي مفقودة لكن توجد مقتطفات منها في رسالة الدلائل للكثيري، رحل الى اليمن والحجاز طلبا للعلم وأخذ عنه الشيخ سالم باسعيد القويري الظفاري والشيخ ابوبكر بن سعد تاج العارفين، توفي بظفار.

*** الشيخ سعد الدين محمد بن علي بن رشيد الظفاري الملقب بتاج العارفين أخذ عن الامام القلعي ورحل الى اليمن فأخذ عن علمائها والتقى بالشيخ عبدالقادر الكيلاني فأخذ عنه التصوف وأسس بها رباط الشيخ سعد خرج من ظفار مغاضباً للسلطان الحبوظي ومات بالشحر سنة ٦٠٧هـ

٢- ذكر القاضي بهاء الدين الجندي (ت ٧٣٢هـ) في طبقاته أن الإمام القلعي منسوب إلى قلعة حلب الشامية، وهو ينقل ذلك عن رواية الفقيه محمد بن احمد بن عبدالله بن حمدي الظفاري الذي يصفه بالفقيه الخبير من أهل تلك البلاد.[١]

٣ - ذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في معجم البلدان قرية باليمن تسمى القلعة بينها وبين زبيد نحو يوم ينسب إليها الفقيه القلعي المتوفى بمرباط.[٢]

٤ - يذكر ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) أن القلعي نسبة الى قلعة تقع بالقرب من ظفار، ويرى علوى بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) في عقود الألماس أن القلعي من أهل ظفار ونسبه الى قلعة ريسوت!.[٣]

وهناك أقوال أخرى في نسبة القلعي عند الخزرجي والإسْنَوي والسبكي وهي لا تخرج عن ما سبق عرضه.

والأرجح أن الإمام القلعي نسبة الى قلعة حلب للاعتبارات التالية:

١ - الإمام ابي عبدالله القلعي شافعي المذهب بينما قلعيو المغرب على مذهب مالك، فتباعد المذاهب يرجح تباعد الأوطان والمشارب، كما ان مذهب الشافعي كان ثقله ومثراه في الشام ومصر بينما لم يطرق ابواب المغرب لتمكن مذهب الامام مالك بها، ونجد في الشام قلعيين شوافع مثل الفقيه علي بن يونس القلعي الدمشقي الشافعي (ت٧٥٠هـ) وابن ابي الصفاء

---

١ - الجندي، مرجع سابق.

٢ - الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٧.

٣ - ابن قاضي شهبة، ج ٢، ص ٣٩ / الحداد، عقود الألماس في مناقب العطاس، ج ٢، ص ١٠٢ - ١١٥.

القلعي الدمشقي الشافعي (ت٨١٣هـ) والشيخ شمس الدين البكري الحلبي القلعي الشافعي (٩٥١هـ)، والأخير يتفق مع الامام محمد بن علي القلعي في النسبة والوطن.

٢- لو كان الامام القلعي ظفاري الموطن من قلعة ريسوت لما تفاجأ به أهل مرباط عند نزوله عندهم كما سنرى ولما احتفوا به وأصروا على بقائه عندهم وهو على مسيرة يوم ونصف منهم ولكان من المتيسر عليهم التردد عليه في ريسوت!، وهذا ما جعل الخزرجي يغلط هذا القول لضعفه وغرابته، وعليه فقول ابن شهبة والحداد مردود بالحجة العقلية.

٣ - أما قول الحموي أن الامام القلعي من القلعة بلدة باليمن لكان صيته وذكره قد تناهى الى مرباط بحكم التقارب الجغرافي خاصة وان كثيراً من فقهاء مرباط وظفار في تلك الفترة دخلوا اليمن لطلب العلم كما تذكر المصادر، ومما يسند ذلك أن الفقيه ناصر بن عبدالله المصري الذي نقل عن القلعي كتابه المستغرب عرفه بالقلعي ثم اليمني، مما يشير الى ان النسبة الاولى للأصل والثانية للمهجر.

خلاصة القول أن الإمام محمد القلعي يرجع إلى ثلاثة أوطان، وطن الأصل والأجداد والأرجح أنه قلعة حلب الشامية، ووطن المنشأ والمنبت وهي مدينة زبيد اليمانية، ووطن المهجر والمرقد وهي مدينة مرباط الظفارية.

- **الامام القلعي في كتب التراجم والطبقات:**

وردت ترجمة الامام محمد بن علي القلعي في عدد من كتب الطبقات والتراجم والتاريخ في عصره وما بعده، نذكر نماذج منها كالتالي:

١- طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة الجعدي (ت ٥٨٦ هـ)، وكان معاصراً للإمام القلعي، وذكره في طبقاته فقال: "ففي مرباط مفتيها وفقيهها محمد بن علي القلعي له مصنفات حسنة منها قواعد المهذب وغيره". [١]

٢ - تحفة المريد وأنس المستفيد في مناقب الشيخ سعد تاج العارفين، للشيخ محمد بن علي باطحن (ت ٦٣٠هـ) وهو أقدم من ترجم للإمام القلعي ضمن ترجمته لشيخه تاج العارفين سعدالدين الظفاري (ت ٦٠٧هـ) وهو من تلاميذ القلعي، فيقول:

"وكانت على مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى حتى منّ الله عليها بالقلعي رحمه الله وكان أصله من المغرب ومولده بمصر ونشأ في زبيد وقرأ العلم على يد أبي عقامة"، ثم يواصل حديثه عن القلعي وسبب خروجه من زبيد بسبب ظهور علي بن مهدي الرعيني فيها وبطشه بالفقهاء المخالفين لمذهبه، فيقول: "فخرج الامام محمد بن علي القلعي الى عدن وركب البحر يريد بغداد فلما وصل إلى ظفار بمرباط نزل الفقيه إلى الساحل ليستريح، وكان السلطان محمد بن منجوه هو يومئذ والي ظفار وله معلم يعلم اولاده يقال له ابن نصير وكان رجلاً صالحاً، فمر يوما يتمشى فصادف الفقيه - القلعي - وقعد عنده وباحثه في العلم فوجده كالبحر الزاخر فسارع الى السلطان

١ - الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢٢٠.

محمد بن احمد بن منجوه وقال: ألك حاجة الى العلم في بلادك؟، قال: كيف لي ذلك؟، قال: أدرك الفقيه قبل ان يسافر، فقام إليه السلطان بنفسه وأتى إليه وقال: يافقيه صار لي حق عليك اذ صرت في ولايتنا، قال: نعم، قال: تفضل علينا بجلوسك عندنا، قال: يامولاي ما خرجت من زبيد إلا لأكون تحت حمى الخلافة في بغداد، قال: في بغداد من يكفيهم، وأنت نصيبنا، قال: أريد الزيادة، قال: يا فقيه أما من تستفيد منه فما عندنا، ولكن عندنا من الكتب كثيرا أمكنك من الخزائن، قال: السمع لله ورسوله ولك، فأعطاه البيت ومؤنه، فاشتهر به مذهب الشافعي رضي الله عنه، وصارت البلاد كلها مذهبا واحدا وعقيدة واحدة"!!.[1]

٣ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين الجندي (ت ٧٣٢هـ)، وترجم للإمام القلعي وكثير من فقهاء ظفار بين القرنين السادس والثامن الهجريين برواية الفقيه محمد بن حمدي الظفاري، فيقول عن ذكره لظفار وفقهائها:

"فأبدأ حِينَئِذٍ بِذكر من عَمت بركته وانتفع النَّاس بتصانيفه وَهُوَ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عَليّ بن الْحسن بن عَليّ بن أبي عَليّ القلعي قيل بِفَتْح الْقَاف وَسُكُون اللَّام نِسْبَة إِلَى قلعة حلب الْمَدِينَة الْمَعْرُوفَة بِالشَّام وَقيل بفتحهما نِسْبَة إِلَى قلعة بَلْدَة بالمغرب وَقيل غير ذَلِك كَانَ فَقِيها كَبِيرا لم يبْدَأ ابْن سَمُرَة فِي الْفَصْل الْأَخير بعده إِلَّا بِهِ أثنى عَلَيْهِ وَله مصنفات عدَّة انْتفع النَّاس بهَا مِنْهَا قَوَاعِد الْمُهَذّب وَمِنْهَا مستغرب أَلْفَاظه وَمِنْهَا إِيضَاح الغوامض من علم الْفَرَائِض مجلدان جيدان جمع بِهِ بَين مَذْهَب الشَّافِعِي وَغَيره وَأورد فِيهِ طرفا

١ - الكثيري، الدلائل والاخبار، مخطوط.

من الْجَبْر والمقابلة والوصايا وَله احْتِرَاز الْمُهَذّب الَّذِي شهد لَهُ أَعْيَان الْفُقَهَاء أَنه لم يصنف فِي اعتزاز لَهُ نَظِير أَوله لطائف الْأَنْوَار فِي فصل الصَّحَابَة الأخيار وَله كنز الْحفاظ فِي غَرِيب الْأَلْفَاظ أَعنِي أَلْفَاظ الْمُهَذّب وَله تَهْذِيب الرياسة فِي تَرْتِيب السياسة وَله كتاب أَحْكَام الْقُضَاة مُخْتَصر وَيُقَال إِن مصنفاته أَكثر مِمَّا ذكرت وَهِي تُوجد بظفار وَحضر موت ونواحيهما وَعنهُ انْتَشَر الْفِقْه بِتِلْكَ الْجِهَة".

ثم يسرد قصة نزول الامام القلعي بمرباط وهي متطابقة مع رواية باطحن مع اختلاف بسيط في الجهة التي قدم منها، فعند الجندي كان قدومه من الحج، وعند باطحن من عدن، ولعله خرج من عدن الى الحج ثم عزم التوجه الى بغداد فكان مروره بمرباط ونزوله بها.

٤- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ):

"مُحَمَّد بن عَليّ بن أبي عَليّ القلعي: صَاحب كتاب احترازات الْمُهَذّب وَله كتاب آخر فِي مستغرب أَلْفَاظه وَفِي أَسمَاء رِجَاله وَله مُصَنف حافل فِي الْفَرَائِض كَانَ من أهل الْيمن". [1]

٥- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، موفق الدين الخزرجي (ت٨١٢ هـ):

"وكان القلعي المذكور فقهياً عالماً كبيراً عاملاً له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع الناس بها. منها قواعد المهذب ومنها مستعذب ومنها إيضاح الغوامض في علم الفرائض مجلدان جيدان جمع فيه بين مذهب الشافعي وغيره وأورد

١ - السبكي، طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٥٥.

فيه طرفاً من الجبر والمقابلة والوصايا. وله احتراز المهذب. وله لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار. وله كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ يعني ألفاظ المهذب. وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة. وله كتاب أحكام القضاة".[1]

٦- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ):

"مُحَمَّد بن عَليّ بن أبي عَليّ القلعي اليمني صَاحب كتاب احترازات الْمُهَذّب وَله كتاب آخر فِي مستغرب أَلْفَاظه وَفِي أَسمَاء رِجَاله وَله مُصَنف حافل فِي الْفَرَائِض قَالَ الإِسْنَوِيّ فِي تَرْجَمَة أبي الْفتُوح بن أبي عقامة إِن الْمَذْكُور أَخذ عَن ولد وَلَده عَن أَبِيه عَن جده أبي الْفتُوح والقلعي مَنْسُوب إِلَى قلعة بَلْدَة بِالْقربِ من ظفار لم يذكرُوا وَفَاته وَقَالَ السُّبْكِيّ فِي الطَّبَقَات الْكُبْرَى إِنَّه توفّي فِي الْمِائَة السَّادِسَة".[2]

٧- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ):

"محمد بن علي بن الحسن القَلْعي: فقيه، باحث، من علماء الشافعية. نسبته إلى قلعة حلب (على الأرجح). حج ومر بزبيد، واشتهر في ظفار وحضرموت، ومات بمرباط. له مصنفات كثيرة، منها (تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة) و(أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر - خ) أوراق منه، في دار الكتب، و(إيضاح الغوامض في علم الفرائض) مجلدان، و(لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار) و(كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ) يعني ألفاظ المهذب، في فروع الشافعية".[3]

١ - الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٥٦.

٢ - ابن شهبة، مرجع سابق.

٣ - الزركلي، الاعلام، ج ٦، ص ٢٨١

وهناك مراجع أخرى ترجمت للإمام محمد بن علي القلعي مثل طبقات الشافعية للإسْنَوي، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، وديوان الإسلام لابن الغزي، اكتفينا بالنماذج السابقة لعدم الإطالة.

- مكانة الامام القلعي العلمية:

مما سبق عرضه يتضح لنا أن الامام ابي عبدالله القلعي كان ذا مكانة غير منكرة ومنزلة معلومة في التاريخ العلمي والفقهي يدل عليه تكرار ذكره وترجمته في كتب الطبقات والتاريخ، ويعتبر الإمام القلعي من العلماء العاملين والفقهاء البارزين في دوائر الفقه والعلوم الشرعية والأدبية، فقد كان مدرسة تخرج منها علماء عديدون في زمانه في ظفار وعمان واليمن وغيرها، ويعود له الفضل في نشر المذهب الشافعي في ظفار وما جاورها في القرن السادس الهجري فأصبحت مذهباً واحدة وعقيدة واحدة كما ذكر باطحن.

ولا نكاد نبحث في كتب الفقه والفتاوى عند كبار علماء الفقه الإسلامي إلا ونجد آثار الإمام القلعي حاضرة في مصنفاتهم وآراءه ماثلة في اجتهاداتهم، فعلى سبيل المثال الإمام ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) وهو من كبار علماء الشافعية بمصر يستند في مؤلفاته مثل الفتاوى الفقهية وشرح المنهاج على أقوال الامام القلعي في بعض المسائل الفقهية في الميراث والعتق والاحترازات، وكذلك نجد آراء القلعي الفقهية حاضرة في فتاوى الإمام محي الدين النووي من كبار علماء الشام (ت ٦٧٦هـ)، فكلا الإمامين عند عرضهما لمسألة فقهية كان للإمام القلعي فيها رأي أو قول نجدهما يقدمان لفتاويهما بقول: "قال أبو عبدالله القلعي" أو "كذا قال القلعي في احترازاته" وهذا دليل

جلي على مكانة الإمام القلعي الكبيرة ومدى انتشار علومه في أرجاء البلاد الاسلامية.

ويكفينا لكي نعلم قدر هذا الإمام العلم أن نقرأ ما ذكره القاضي بهاء الدين الجندي في طبقاته عنه بقوله: "ولم ينتشر العلم عن أحد بتلك الناحية كما انتشر عنه وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه".

- شيوخ الإمام القلعي:

تلقى الامام محمد بن علي القلعي العلم على شيوخ وفقهاء مدينة زبيد ولا شك انه ايضا اخذ عن غيرهم من علماء الشافعية في اليمن والحجاز كما كان منهج طلب العلم قديماً، ولا تسعفنا المراجع لمعرفة اسماء شيوخ القلعي، إلا أن باطحن ذكر انه قرأ العلم على الفقيه ابن ابي عقامة بزبيد!، ومن البحث نجد ان آل ابي عقامة كانوا شيوخ الشافعية في زبيد واليمن وبهم انتشر فيها، ويذكر ابن سمرة أنهم أول من جهر بالبسملة في اليمن فتباشر بذلك الشافعية في الحجاز والشام، وأصلهم من بغداد ونسبهم في تغلب قدم جدهم محمد بن هارون التغلبي اليمن قاضياً زمن المأمون مع ابن زياد.

وقد ذكر كلّ من ابن سمرة والجندي عدداً منهم مثل الحسن ابن ابي عقامة قاضي زبيد في القرن الخامس الهجري، والقاضي ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي عقامة تولى القضاء ايام بني نجاح وكان معظماً عندهم وقتله علي بن مهدي سنة ٥٥٤هـ كما ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة وذكر ان ابن مهدي قتله وولده معاً [1]، والارجح انه شيخ القلعي الذي عناه

١ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، ص ٣٣٠.

باطحن لكونه قتل في فتنة ابن مهدي التي كانت السبب في خروج القلعي منها في نفس العام، وهذا يجعلنا نقول انه خرج مغاضباً ومهاجراً بعد مقتل شيخه.[1]

- **مؤلفات الإمام القلعي:**

وضع الإمام محمد بن علي القلعي عدة مصنفات في الفقه والعلوم الشرعية انتشرت مع تلاميذه الى اكثر من بلد، وما وصل منها إلينا كتب بأيدي فقهاء من مصر واليمن وغيرها دونوها سماعاً ونقلاً من حلقة الإمام في مواسم الحج وحلقاته العلمية في زبيد ومرباط، منها:

١- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، مطبوع، تحقيق ابراهيم يوسف عجو، مكتبة المنار، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، الأردن، ومنه نسخة إلكترونية متوفرة على شبكة المعلومات (الانترنت).

٢- اللفظ المستغرب من شواهد المهذب، مطبوع، تحقيق خالد اسماعيل حسان ورمضان عبدالتواب، الطبعة الاولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، وتوجد نسخة من المخطوط بوزارة التراث والثقافة عثر عليه بدار الكتب المصرية.

٣- ايضاح الغوامض في علم الفرائض، مخطوط في فقه المواريث، تم العثور على نسخة منه في المكتبة الوطنية بتونس.

٤- أحكام العصاة والمرتكبين الكبائر من اهل الاسلام، وجاء اسمه في

١ - الجعدي، ص ٢٤٢.

بعض المصادر بأحكام القضاة وهو خطأ من النساخين، وقد ذكر الزركلي وجود اوراق منه في دار الكتب في دمشق.

٥ - قواعد المهذب، ذكره الجندي والخزرجي، مفقود.

٦ - احترازات المهذب، ذكره الجندي وأثنى عليه بقوله: "وهذا المصنف شهد به أعيان الفقهاء أنه لم يصنف له في الاحتراز نظير"، وذكره أيضا السبكي والهيتمي والنووي، وهو مفقود.

٧ - كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ، ذكره الجندي والخزرجي والزركلي، مفقود.

٨ - لطائف الأنوار في الصحابة الأبرار، ذكره الجندي والخزرجي، مفقود.

٩ - أحكام المختصر، ذكره الجندي، مفقود.[١]

وبعض من هذه المصنفات تظهر اقتباسات منها في كتب فقهاء الشافعية عند التطرق الى بعض المسائل التي أفتى فيها الإمام القلعي أو شرحها او أدلى فيها بقول أو رأي، وكما أشرنا فإن كتابه تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة قد تم طبعه وتحقيقه في المملكة الاردنية وهو أيضا مطروح ضمن بعض المواقع الالكترونية في الانترنت مثل موقع المكتبة الشاملة وموقع مكتبة المصطفى الالكترونية، والبقية من هذه المصنفات لا زالت مخطوطات تم العثور على مخطوطين منها ونتمنى ظهور المفقود لكي يصبح متاحاً لأهل العلم والبحث والاهتمام.

---

١ - الجندي والسبكي، مراجع سابقة.

- تلاميذ الامام القلعي:

كان للإمام محمد بن علي القلعي تلاميذ تلقوا عنه الفقه والعلم في زبيد أو مرباط وفي مكة اثناء موسم الحج حيث كانت تعقد له حلقة كما ذكر الفقيه ناصر المصري الذي نقل عنه سماعاً في الحرم، ولعل هذا يفسر انتشار مؤلفاته في أكثر من دولة، ومن تلاميذ الامام القلعي:

١ - الشيخ يحيى بن أبي نصير الظفاري:

قاضي مرباط وكان في بداية أمره معلم أولاد السلطان المنجوي، ثم تولى القضاء بمرباط، أخذ الفقه عن الإمام القلعي وأخذ عنه الفقيه محمد بن عراف اليافعي اليمني، وهو الذي تعرف على الإمام وأبلغ عنه السلطان المنجوي حسب القصة التي رواها باطحن والجندي، وتذكره بعض المصادر باسم الطفاوي وهو تصحيف للظفاري.[١]

٢ - أبوالعباس أحمد بن محمد بن ضمعج السبتي: ويذكر في بعض المصادر بابن صمع وهو خطأ، عاش في مرباط ثم ظفار وأخذ عن الإمام القلعي وهو الذي خلفه في التدريس بعد وفاته كما يذكر الجندي، أخرجه السلطان أحمد بن محمد الحبوظي الذي استولى على حكم ظفار بعد المنجويين لارتيابه منه ربما لموالاته لمن كانوا قبله، فخرج الى مدينة الشحر فتولى بها القضاء وتوفي بها بعد سنة ٦٦٠هـ.

---

١ - يذكر في بعض المصادر باسم الطفاوي وهو تصحيف الظفاري، وقد ذكره سعيد مسعود المعشني في كتابه الآثار التاريخية في محافظة ظفار باسم يحيى بن ابي نصير الأوسي الظفاري، أما في دليل أعلام عمان فمنسوب الى آل ابي ماجد!.

٣ - الإمام أبو الفتح ناصر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن حاتم العطار المصري المكي، أخذ عن الامام القلعي بمكة ونقل عنه كتابه المستغرب من ألفاظ المهذب سماعاً، توفي ٦٤٣هـ، أخذ عنه الفقيه أبي نزار ربيعة بن الحسن الظفاري بمكة سنة ٦٠١هـ.[1]

٤ - أبو القاسم محمد بن فارس بن ماضي اليماني: فقيه من أهل اليمن حصل على الإجازة الفقهية من الإمام القلعي مع الفقيه المحدث عبدالله بن محمد بن علي باعلوي بمرباط سنة ٥٧٥هـ، توفي بقرية بيت الفقيه في اليمن سنة ٥٨٦هـ.

٥ - الشريف المحدث عبدالله بن محمد بن علي العلوي: وهو أحد أبناء الإمام محمد بن علي صاحب مرباط، أخذ الإجازة الفقهية من الإمام القلعي سنة ٥٧٥هـ، توفي سنة ٥٩٢هـ بمرباط على الأرجح.

٦ - الفقيه علي بن أحمد بامروان التريمي: صاحب رسالة تحرير الأيدي والعقول وألفاظ الطلاق، تخرج بالإمام القلعي بمرباط، ومات ببلده تريم سنة ٦٢٤هـ

٧ - الشيخ تاج العارفين سعدالدين بن علي الظفاري: من فقهاء ظفار أخذ عن ابي عبدالله القلعي، مؤسس المدرسة الصوفية في ظفار، صنف تلميذه الفقيه محمد بن علي باطحن رسالة في مناقبه سماها "تحفة المريد وأنس المستفيد في مناقب الشيخ تاج العارفين" وذكر فيها ترجمة للإمام القلعي نقلها عنه صاحب رسالة الدلائل والاخبار في خصائص ظفار، توفي بالشحر سنة ٦٠٧هـ.

---

١ - ابراهيم عجو، تهذيب الرياسة، ص ٣٩ - ٥١.

٨- القاضي إبراهيم بن أبوبكر بن يحيى بن أبي ماجد: درس الفقه على الإمام أبي عبدالله القلعي، وتولى القضاء في مرباط بعد ابن أبي نصير، ثم تولى القضاء بالمنصورة [١] على أيام الحبوظي وبها مات، وتخرج به الفقيه علي بن محمد بن ابي ططة وخلفه في القضاء، وآل أبي ماجد معروفون بالزهد والورع والتصوف ومن فقهاء ذكرهم الجندي في السلوك.

٩ - الفقيه الأديب سعد بن سعيد بن مسعود المنجوي، يصفه الجندي بالفقيه المحقق والشاعر المفلق والخطيب المصقع وذكر جملة من أشعاره، أخذ عن الامام القلعي ووزير للسلطان أحمد الحبوظي ثم ابنه السلطان إدريس، خرج إلى مكة ثم الشام وتوفي بدمشق.

١٠ - الفقيه محمد بن أحمد بن أبي الحب، ذكره الجندي وابن سمرة، أخذ عن القلعي، خرج الى تريم ومات بها سنة ٦١١هـ، وقد ذكر الجندي عدداً من فقهاء آل ابي الحب في ظفار. [٢]

١ - المنصورة مدينة بناها احمد بن محمد الحبوظي سنة ٦١٨هـ وعرفت بظفار الحبوظي، ذكرها ابن المجاور وابن بطوطة، وعرفت بالبليد وهو تصغير البلد او البلاد.

٢ - ذكر الجندي مجموعة من تلاميذ الامام القلعي وتلاميذ تلاميذه.

الفصل الثاني:
عصر الإمام القلعي

أولا: الحياة السياسية والفكرية في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي:

لكي نتعرف على ملامح العصر الذي عاش فيه الإمام محمد بن علي القلعي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ونفهم الإطار العام لتلك الفترة التي عاصرها الإمام من أحداث سياسية وفكرية كان لها تأثير مباشر في شخصيته وحياته سنستعرض المشهد التاريخي العام لذلك العصر كما يلي:

١ - أوضاع العالم الإسلامي السياسية:

في ذلك العصر ومع مطلع القرن السادس الهجري - الثاني عشر الهجري - كانت تتقاسم العالم الإسلامي خلافتان، الأولى عباسية في بغداد والأخرى فاطمية في القاهرة، وكلتاهما كانتا في تلك الفترة تضرب في أركانها معاول الضعف، فالخلفاء العباسيون في حقبة المائة الخامسة من الهجرة كانوا رهائن نفوذ السلاجقة الأتراك الذين ورثوا دور آل بويه وأصبح الحاكم السلجوقي هو المسيطر على شؤون الحكم وقد كان الصراع بين الأمراء السلاجقة يضع خليفة ويرفع خليفة آخر وفق أهوائهم وبقدر انصياع الخليفة لهم فأصبح

الأخير اسما بلا رسم ورمزاً وشعاراً لا أكثر، لدرجة أننا نجد أنه في حياة الإمام القلعي تعاقب على الخلافة في بغداد سبعة خلفاء آخرهم الناصر لدين الله العباسي.

ولم تكن الخلافة الفاطمية في القاهرة بأحسن حالاً من نظيرتها في بغداد في ذلك العصر، فكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وتعيش حالة الاحتضار في ظل تشرذم تعصف بها أحداث ذلك العصر، وانتشرت ما بين هذه وتلك دويلات مجزأة في باقي أطراف الدولة الإسلامية قام فيها أمراء كانت صورة تبعيتهم للخلفاء مجرد الدعاء لهم فوق المنابر فقط.

وفي ظل هذه الأوضاع السياسية المتردية وفي غفلة العالم الاسلامي وما يرزح تحته من انقسام وتناحر في ذلك العصر قام الصليبيون بشن حملات شرسة على بلاد الشام، واستطاعوا احتلال بيت المقدس سنة ٤٩٣هـ، واستولوا على أجزاء كبيرة من الأناضول والشام أقاموا عليها ممالك وإمارات صليبية، واستمرت حملاتهم على مصر وأطراف الجزيرة أمام عجز الخلافتين السابقتين، وفي ذلك القرن ظهرت الدولة الزنكية في حلب التي أخذت على عاتقها التصدي للزحف الصليبي على الشام، فاستطاعت استرداد بعض المدن والحصون وفي سنة ٥٥٩هـ - أي بعد وصول الإمام القلعي إلى مرباط بخمس سنوات تقريبا - قام القائد المسلم نور الدين محمود زنكي بإرسال جيش إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي لقطع طريق الحملة الصليبية المتوجهة لغزوها، واستطاع صلاح الدين الأيوبي عزل آخر خليفة فاطمي في القاهرة - العاضد بالله - سنة ٥٦٧هـ وإرجاعها الى حضيرة الخلافة العباسية.

وفي حياة الإمام القلعي كان صلاح الدين الأيوبي يرفع راية الجهاد ضد الصليبيين ويحاول توحيد البلاد الإسلامية لمواجهة خطرهم ففي سنة ٥٦٩هـ وبعد ضمه مصر والشام تحت حكمه قام بتوجيه أخيه توران شاه لضم اليمن وانتزاعها من يد الصليحيين ولاة الدولة الفاطمية عليها فتمكن توران شاه من ذلك وقام بالقضاء على الدولة الصليحية الإسماعلية المذهب في اليمن ونشر المذهب الشافعي فيها، واستمر نائباً فيها عن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب حتى وفاته سنة ٥٧٧هـ - نفس العام الذي توفي فيه الإمام القلعي - ليخلفه أخوه سيف الإسلام طغتكين أميراً على اليمن.

ومما تقدم نرى أن الإمام محمد بن علي القلعي عاصر تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية بما فيها من انكسار وضعف، وعايش ارتفاع راية الجهاد ونهوض قادة أبطال يذودون عن حياضها ضد الهجمة الصليبية، منهم نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي الذي استطاع وبعد سجال طويل من الحروب مع الصليبيين دحرهم في موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ بعد وفاة إمامنا القلعي بخمس سنوات.[١]

٢ - عمان في عصر الإمام القلعي:

عندما ندرس الأوضاع السياسية في عمان في القرن السادس الهجري الذي عاش فيه الإمام القلعي، نجد أنها اتسمت بحوادث عصفت بالبلاد وخلقت حالة من الاضطراب نتج عنها انقسام الإمامة فيها إلى فرقتين رستاقية ونزوانية، ولعل أن أهم أحداث ذلك العصر في عمان هو مقتل الإمام موسى

١ - انظر الكامل في التاريخ، ابن الاثير

بن أبي المعالي بن نجاد بن موسى في وقعة جرت بينه وبين محمد بن مالك من ملوك عمان ومعه قبائل اليحمد بالطو سنة ٥٤٩ هـ، ومن المعاصرين للإمام القلعي وقتذاك بعمان الإمام محمد بن خنبش بن محمد بن هشام (ت ٥٥٧هـ) وكانت إمامته في مستهل القرن السادس الهجري.

وفي ذلك العصر ومع منتصف القرن السادس الهجري ظهرت دولة ملوك بني نبهان في عمان، وقد عرفوا بالقوة والبطش مما حدا بالمؤرخ السالمي أن ينعتهم بالجبابرة ويصف عصرهم بالظلام!، وأول من عرف منهم في تلك الفترة أبوعبدالله محمد بن عمر بن نبهان و أبوالحسين أحمد بن عمر بن نبهان، وقد استمرت الدولة النبهانية تحكم عمان حتى القرن العاشر الهجري لترثها دولة اليعاربة.[1]

٣ - اليمن في عصر الإمام القلعي:

نشأ الإمام محمد بن علي بن الحسن القلعي في مدينة زبيد باليمن وهي موطنه الأول قبل خروجه منها ونزوله بمرباط مهجره ومرقده، وهنا نستعرض أهم المشاهد السياسية والفكرية التي عايشها الإمام في ذلك العصر في زبيد.

- زبيـــد

تقع مدينة زبيد - بفتح الزاء - في القسم الغربي التهامي من اليمن جنوب غرب صنعاء، وهي قديمة النشأة سميت بذلك نسبة الى قبيلة زبيد المذحجية وكانت قديماً تعرف بالحُصيب، وممن ينسب الى هذه المدينة الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري رضى الله عنه، وفي القرن الثالث الهجري قامت

١ - انظر الشعاع الشائع باللمعان في أئمة عمان لابن رزيق وتحفة الأعيان للسالمي.

في زبيد الدولة الزيادية سنة ٢٠٤هـ على يد محمد بن زياد [١](٢٢) والي الخليفة المأمون بالله العباسي وتشير المصادر إلى أن مرباط كانت أيضاً من ضمن المدن والأقاليم التي وصل إليها حكم الدولة الزيادية، فقد ذكر نجم الدين عمارة الحكمي (ت ٥٨٦هـ) أن محمد بن زياد تملك على صنعاء وتهامة والمعافر والجند وعدن وحضرموت وديار كندة والشحر ومرباط، واستمر تتبع بني زياد الى أواخر القرن الرابع الهجري، وفي القرن الخامس الهجري وعندما أصيبت دولة بني زياد بالضعف أصبح الحكم متداولاً في أيدي مماليكهم ومنهم الأمير الحسين بن سلامة النوبي (ت ٤٠٧هـ) الذي شيد المآثر وبنى المساجد وحفر الآبار من مكة إلى حضرموت، ثم تنازع الأمر بعده وصيفان حبشيان هما نفيس ونجاح وجرت بينهما المعارك إلى أن قتل الاول واستبد نجاح بالدولة وكتب إلى الخليفة فولاه على اليمن سنة ٤١٢هـ، فابتدأت به الدولة النجاحية التي عاصرها الإمام القلعي في زبيد، واستمرت دولة المماليك النجاحيين الاحباش قائمة في زبيد الى منتصف القرن السادس الهجري، إلى أن قضى عليها علي بن مهدي الحميري سنة ٥٥٤هـ، ولم يطل الأمر ببني مهدي طويلاً، فبعد ١٥سنة من قيام دولتهم استولت الدولة الأيوبية على اليمن، واستمر اليمن خاضعاً للأيوبيين حتى سنة ٦٣٥هـ عندما خلفهم بنو رسول في الحكم. [٢]

ولزبيد تاريخ واسع وأحداث تاريخية عظيمة، وما يهمنا منها هو ما عاصره

١ - الدولة الزيادية تنسب الى محمد بن زياد ويذكر في بعض المصادر محمد بن عبدالله بن زياد وينسب الى بني أمية، ولاه المأمون اليمن سنة ٢٠٤هـ ويرى بعض المؤرخين اليمنيين المتأخرين انه تولى اليمن بعد هذا التاريخ بقرن!.

٢ - الخزرجي، مرجع سابق.

الإمام وعايش وقائعه فيها وما كان سبباً في خروجه منها، وسنعرضه كما يلي:

- دولة بني نجاح في زبيد:

كما اشرنا فإن الإمام أبوعبدالله محمد بن علي القلعي نشأ في زبيد في وقت تمكنت دولة بني نجاح فيها، فمن هم النجاحيون؟!.

النجاحيون من المماليك الأحباش للزياديين حُكّام زبيد واليمن في القرنين الثالث والرابع من الهجرة ومع مطلع القرن الخامس الهجري وفي ظل الضعف والتمزق الذي أصاب دولة بني زياد قفز أحد مواليهم وهو نجاح الحبشي على سدة الحكم وأقام دولته على أنقاض دولة سادته، ومع دخول القرن السادس الهجري عاش الإمام في زبيد وبنو نجاح أهل الحل والعقد فيها، ويصف نجم الدين عمارة حالهم قائلا: "وهم وإن كانوا حبشة فلم تكن ملوك العرب تفوقهم إلا في الحسب والنسب، فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر والصنائع المأثورة".

ومن أهم الأحداث التي عايشها الإمام القلعي في تلك الفترة في زبيد وقوع الصراع بين النجاحيين والصليحيين الإسماعيلية دعاة الدولة الفاطمية في اليمن، الذين استطاعوا الاستيلاء على زبيد وقتل الأمير سعيد بن نجاح الملقب بالأحول، لكن ما لبث أن استعادها أخوه الأمير جياش بن نجاح وأخرج منها الداعي علي بن محمد الصليحي سنة ٤٨٢هـ، وثبت حكمه فيها ١٨سنة حتى توفي سنة ٥٠٠هـ، واستمر حكم بنو نجاح برهة من الزمن حتى كانت نهايته على يد علي بن مهدي الرعيني سنة ٥٥٤هـ، ومن الأمراء النجاحيين الذين عاصرهم القلعي في زبيد:

١ - الأمير جياش بن نجاح من ٤٨٢هـ - ٥٠٠هـ.

٢ - الامير فاتك بن جياش من ٥٠٠هـ - ٥٠٣هـ

٣ - الامير منصور بن فاتك من ٥٠٣هـ - ٥٢١هـ.

٤ - الامير فاتك بن منصور من ٥٢١هـ - ٥٣١هـ.

٥ - الامير فاتك بن محمد بن فاتك من ٥٣١هـ - ٥٥٤هـ.

٦ - الحرة علم أم الامير فاتك: توفيت سنة ٥٤٥هـ.[١]

- فتنة علي بن مهدي في زبيد:

في منتصف القرن السادس الهجري وقعت في زبيد ما يعرف بفتنة علي بن مهدي التي كانت سبباً رئيسياً في هجرة الإمام القلعي منها، فمن هو ابن مهدي ؟!.

تحدثنا مصادر التاريخ أن علي بن مهدي الرعيني الحميري من أهل قرية العنبرة من ساحل اليمن، كان أبوه رجلاً صالحاً على طريقة الصوفية من الخلوة والعبادة وطلب العلم فنشأ على ذات الطريقة، وكان خطيباً فصيحاً وواعظاً بليغاً، ثم دعا الى نفسه واظهر مذهباً غير الأول وأقوالاً وأفعالاً أدى الى تصنيفه ضمن اهل الزندقة والمذاهب الفاسدة، وقد اختلف المؤرخون حول مذهبه وعقيدته، فمعاصروه مثل نجم الدين عمارة الحكمي يذكر أنه كان على مذهب أبي حنيفة في الفروع وأما في الأصول فكان يكفر بالمعاصي ويقتل من يرتكبها وكل من يخالف اعتقاده من أهل القبلة ويبيح سباياهم

١ - الحكمي، بغية المستفيد في تاريخ صنعاء و زبيد، ص ٤٩.

وذراريهم ويجعل دارهم دار حرب، ويقول عمارة: "وحكي لي عنه والعهد على الحاكي انه لم يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح ولده أو أباه أو أخاه أو أمه ويقرأ عليهم (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)"، كما يتحدث عمارة عن اعتقاد أصحابه فيه وأنه عندهم في مرتبة فوق الانبياء!.

أما الثقفي مؤلف سيرة الإمام المتوكل أحمد بن سليمان الرسي فهو من معاصري ابن مهدي وكان ينعته بالقرمطي ويصفه بأن ظاهره النسك والزهد وباطنه الزندقة والباطنية، وكان ابن مهدي يتنبأ بالمستقبلات ويخبر أتباعه بأمور من الغيبيات يوهمهم أنه مطلع عليها ولديه من لدنها علما.

ويذكر الجندي أن علي بن مهدي كان ممن سعى في الأرض فساداً، ويذهب ابن خلدون (٨٠٨هـ) إلى أنه كان على مذهب الخوارج يتبرأ من علي وعثمان ويكفر بالذنوب ويقتل على الزنا وشرب الخمر ويبيح دماء مخالفيه وأموالهم وذراريهم، ويقول إن أتباعه كانوا ينادونه بأمير المؤمنين وقامع الكفرة والملحدين!.

ويحسم هذا الخلاف من خلال عملة نقدية عبارة عن درهم ضرب سنة ٥٦٦هـ ويعود لفترة حكم آل مهدي في زبيد وجد عليه نقش: (لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله. الإمام شمس شريعة الإسلام)، وتبين عبارة (علي ولي الله) أن ابن مهدي كان يعتنق الفكر الشيعي وربما كان إسماعيلياً أو قرمطياً كما ذكر الثقفي، ويتضح هذا من اسمه واسم ابنه عبدالنبي!.

ولقد استطاع علي بن مهدي أن يجمع حوله المريدين والأتباع وشاع أمره بين العوام واعتقدوا فيه الصلاح والولاية والزهد خاصة في ظل تدهور حكم بني نجاح وتذمر الناس من مظالم امرائهم ورجال دولتهم، ووصل صيته إلى الحرة علم أم الأمير فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش آخر أمراء بني نجاح، فقربته وهادنته وأغدقت عليه الأموال والهدايا فقوي شأنه واستولى على الجبال وعظم أمره، وقسم من معه إلى مهاجرين وأنصار وعين النقباء وتسمى بالسيد الإمام وأمير المؤمنين وادعى المهدية!.[1]

هذا في الوقت الذي كان الإمام محمد بن علي القلعي يعيش في زبيد عالماً وفقيهاً يرفع لواء العلم فيها مع أقرانه من علمائها، ولا شك أنه لم يكن بمنأى من تلك الأحداث الواقعة في زمانه، خصوصاً ما كان من شأن علي بن مهدي الذي زحف بعد موت الحرة علم على زبيد وضرب عليها الحصار الشديد وتمكن بعد وقائع وصولات في ١٤ رجب سنة ٥٥٤هـ من الاستيلاء عليها والقضاء على دولة بني نجاح.

وبذلك عاشت زبيد محنة عظيمة ووقع البلاء على أهلها وخاصة العلماء منهم، فلاقوا من تلك الفتنة عناءً وشدة، فحادثة ابن مهدي كانت تحمل الطابع الديني أكثر من الطابع السياسي، وكما أسلفنا فإنه كان يبطش بمخالفيه في العقيدة والفكر، وهذا النوع من الأزمات أكثر من يصطلي بنارها هم العلماء لا محالة، ولم تطل أيام علي بن مهدي في زبيد فقد توفي بعد استيلائه عليها بثلاثة أشهر في شهر شوال ٥٥٤هـ، فوقع الخلاف والنزاع بين أبنائه مهدي وعبدالله وعبدالنبي ثم آل الأمر إلى مهدي بن علي بن مهدي

١ - الزيلعي، دولة بني مهدي، مجلة الخليج للآثار والتاريخ، العدد الاول، ٢٠٠٥م.

حتى سنة ٥٥٨هـ ثم خلفه أخوه عبدالنبي، وكانت سياسة آل مهدي القسوة والبطش فنشروا الذعر بين الناس لدرجة انهم كانوا يحرقون القرى ويبقرون الحوامل واهلكوا الحرث والنسل حسب المصادر، واستطاعوا أن يوسعوا دولتهم بشكل كبير، فهزموا الصليحيين وفرضوا الجزية على الزريعيين وآلت إليهم الخزائن والذخائر في ربوع اليمن السعيد وأصبح شأنهم كالنار تأكل في الهشيم.

ولكن دولة آل مهدي في زبيد كانت قصيرة الأجل لم تعمر أكثر من خمسة عشر عاماً، ففي سنة ٥٦٩هـ خرج وفد من أهل اليمن إلى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد يستنصرونه عليهم ويشتكون إليه ما لاقوه منهم، فكتب الخليفة إلى صلاح الدين الأيوبي يأمره أن يرسل جيشاً إلى اليمن، فأرسل أخوه توران شاه بن أيوب فاستطاع أن ينتصر على عبدالنبي بن علي بن مهدي وأسره ثم قتله شنقاً، ثم قام توران شاه بالقضاء على دعاة الفاطميين في اليمن وهم الصليحيون والزريعيون وكانوا شيعة إسماعيلية، وبذلك دخلت اليمن تحت حكم الأيوبيين الذين قاموا بالتمكين للمذهب الشافعي فيها واتخاذه مذهباً رسمياً للدولة.[1]

ثانيا: هجرة الإمام القلعي من زبيد الى مرباط:

بعد استيلاء علي بن مهدي على زبيد فإن التصور العام للأوضاع فيها آنذاك أنه أقام ما يشبه محاكم التفتيش وضيق على العلماء في المسألة، ويذكر الجندي ان فقهاء الشافعية كانوا اكثر من نالهم الضرر والقتل منه لأنه

---

١ - الجندي، مرجع سابق.

كان يكرههم كما يقول، وكان ممن قتل منهم القاضي محمد بن ابي عقامة شيخ الامام القلعي، والاحتمال الأقوى أنه سلط أتباعه على الفقهاء والعلماء المخالفين له فأشاعوا الفوضى ونال العلماء منهم عنتاً وبلاءً عظيما وكان أبناؤه مهدي وعبدالنبي أشد وطأة منه على الفقهاء فأسرفا في القتل والتضييق وبلغ بهما الأمر أن قاما ببناء قبة عظيمة على قبر والدهما وأمرا الناس بالحج إليها، وكانا جبارين عاتيين انتهكا الحرمات وأظهرا الفساد والزندقة بحسب أقوال معاصريهم، وفي خضم تلك المحنة التي وقعت على العلماء بزبيد اضطر كثير منهم للهجرة منها فراراً بعقيدتهم وسعياً في ارض الله الواسعة حينما أكلت الفتنة الناس واستبد بهم آل مهدي كالْفَقِيه حُسَيْن المقيبعي وابن قُرَيْظَة التهامي، وكان الإمام القلعي ممن هاجر من زبيد بسبب تلك المحنة، يقول الجندي: "فَاشْتَدَّ الضَّرَر على أهلهَا وَخرج غالبهم عَنَّا وَلَا سِيمَا الْفُقَهَاء الشَّافِعِيَّة فَابْن مهْدي كَانَ يكرههم وَقتل بَعضهم فَخَرجُوا الى عدن وبعضهم الى الْجبَال"..

ولا ندري هل خرج منها في مدة الثلاثة شهور التي مكث فيها علي بن مهدي، أم أنه خرج بعد وفاته في شوال في مدة ابنه مهدي بن علي بن مهدي الذي خلف أبيه في نفس العام حتى وفاته في ذي القعدة سنة ٥٥٨هـ، ومن المحتمل أنه خرج في مدة الثاني.

ويذكر باطحن ان الامام القلعي خرج الى عدن ولبث بها مدة من الزمن، وربما خرج منها في نفس العام الذي خرج فيه من زبيد، ثم عزم الإمام على التوجه من عدن إلى بغداد حاضرة الخلافة كما يذكر الجندي مما يشير إلى

أنه كان متوجساً من آل مهدي يخشى أن يصلوا إليه في عدن فاختار أن يكون في حمى الخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي، لكن كانت مشيئة الله أن يستقر به المقام في مدينة مرباط التي نزل بها أثناء رحلته الى بغداد.[1]

- مرباط في القرن السادس الهجري:

وصل الإمام محمد بن علي القلعي إلى مرباط قادماً من عدن، وكانت وجهته نحو بغداد كما أسلفنا فنزل بها وكانت بها اقامته الى مماته، وهنا نقدم للقارئ موجزاً مختصراً نقلب فيها صفحات من تاريخ مدينة مرباط الموطن الثاني للإمام القلعي:

مرباط على وزن مفعال ومحراب وضبطها بكسر الميم، وفي المعجم المرباط هو موضع ربط الخمسة من الخيل فما أكثر، وقد اكتسبت مرباط اسمها من مربط الخيل حيث كانت ميناءً قديماً لتصدير الخيل الى الهند، يقول الجندي (ت ٧٣٢هـ):

"مرباط وهي مدينة قديمة كانت على الساحل قبل ظفار وموضعها من ظفار على مسافة مرحلة أو مرحلتين وضبطها بخفض الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم طاء مهملة، سميت بذلك لكثرة ما كان يربط بها من الخيل ثم لما سكنها قوم من الصيادين يعرفون بالمرابطة طاؤوها وطاء".

ولمرباط تاريخ عريق فهي قديمة النشأة ذكرها المؤرخون والرحالة القدماء أمثال ابن خلدون، وابن الاثير، وأبو الفداء، وابن مجاور، والإدريسي،

---

١ - انظر السلوك للجندي والدلائل للكثيري.

والحموي وغيرهم، وتشير بعض المصادر إلى أن الفينيقيين اكتشفوا رأس مرباط في القرن العاشر قبل الميلاد، وهناك رأي يرجع نشأتها إلى القرن الأول قبل الميلاد، ويذكر ابن مجاور(ت ٦٩٠هـ) أن الفرس هم من بنى مرباط ويقول أنها كانت مرابط خيل أهل سيراف ويعتبر آل منجوه آخر من تولى بها من نسل الفرس في القرن السادس الهجري!، ويرى بعض الرحالة والمستشرقين الغربيين أن مرباط هي نفسها سمهرم في نشأتها الأولى ويوردون أقوالاً وآراء في ذلك، ولكن الأرجح أنها نشأت في القرن الخامس الميلادي عقب انهيار سمهرم.

ولقد جاء ذكر مرباط في مراجع التاريخ العربي القديم، فمنها خرج زهير بن قرضم بن العجيل من مهرة وافداً على النبي(صلى الله عليه وسلم) وكان يفرش له رداءه لبعد بلاده، ورجع زهير بكتاب من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى قومه يدعوهم فيه الى الإسلام، ولا يزال يوجد في مرباط ضريح زهير ومن المرجح أنه لهذا الصحابي حسب إشارات المصادر التاريخية التي ذكرت أنه مات بها، وفي سنة ٢٠٤هـ تمكن محمد بن زياد والي الخليفة المأمون بالله العباسي على اليمن أن يمد نفوذه إلى مرباط كما يذكر نجم الدين عمارة الحكمي، وشهدت مرباط في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي هجرة الأزد قادمين إليها من ريسوت، وفي نفس القرن يتحدث ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) في كتاب (القانون في الطب) عن تجار العراق الذين يسافرون من البصرة إلى مرباط لشراء الكندر وهو اللبان، وفي هذا القرن أيضاً تم بناء مسجد النور بمرباط، وكان ميناء مرباط أو بندر مرباط كما

يطلق عليه من أشهر وأقدم الموانئ في جنوب الجزيرة العربية، ورد ذكره في كتب الملاحين والبحارة القدماء وفي خرائطهم ومرشداتهم البحرية منهم أحمد بن ماجد وسليمان المهري، وقد زارها الصينيون واطلقوا عليها اسم مالي مو، وكذلك اسم ووبا.

وفي مرباط راجت تجارة الخيل في قرونها الأولى، وكانت تجلب إليها من عمان والإحساء واليمن ثم تربط بها ومن هنا جاء الاسم ثم تحمل في المراكب إلى الهند والسند، واستمرت هذه التجارة إلى أن انتهت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بسبب استيلاء البرتغاليين على الهند ثم تواصلت هجماتهم على الموانئ العمانية والعربية في الخليج.

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي قامت الدولة المنجوية في مرباط وسيطرت على ظفار وسقطرة وأطراف حضرموت سنفصل عنهم لاحقاً واستمرت دولتهم فيها إلى بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بوفاة السلطان الأكحل محمد بن احمد المنجوي، وفي سنة ٦٠١هـ وكما يذكر ابن الأثير استولى على مرباط محمد بن أحمد الحبوظي وقضى على حكم المنجويين.

وكان الحبوظي في بداية أمره ناخوذة يكري للتجار ثم صار وكيلاً على تجارة الأكحل، وزيرا فلما مات ورأى حال الضعف في آل منجوه، أعلن التمرد وجرت بينهم حروب انتهت باستيلائه على البلاد،وفي سنة ٦٢٠هـ بنى الحبوظي مدينة جديدة اتخذها عاصمة لدولته وأطلق عليها اسم المنصورة تعرف حالياً بالبليد وأمر أهل مرباط بالانتقال إليها، فأنتقلت معه جماعة منهم الفقيه ابراهيم بن ابي بكر باماجد قاضي مرباط بعد الفقيه يحيى بن

ابي نصير وولاه الحبوظي القضاء في المنصورة، وبالرغم من الخراب الذي وقع على مرباط على يد الحبوظيين فقد حافظت على مكانتها كميناء تجاري استراتيجي على المحيط الهندي، ومركزا علمياً وحضارياً له دور بارز في تاريخ المنطقة، وفي سنة ٦٥٨هـ تعرضت مرباط وباقي موانئ ظفار لهجوم شنه أمير هرمز محمود الكوشي الذي أحرق المنصورة ونهب البلاد، لكن نصف جيشه هلك فيما بعد عطشاً في الصحراء في طريق عودته بعد أن فرّ دليلهم من القرى، واستمرت الدولة الحبوظية تحكم ظفار الى سنة ٦٧٨هـ عندما قتل آخر حكامها السلطان سالم بن ادريس الحبوظي في معركة وقعت بينه وبين الرسوليين ملوك اليمن، وبذلك خضعت ظفار للدولة الرسولية الى بداية القرن التاسع الهجري، وقد تعرضت مرباط للغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وكانوا من العوامل الأساسية في القضاء على تجارة الخيل فيها، ولقد كانت مرباط من أوائل الموانئ التي وصل إليها الرحالة والمستكشفون الأوروبيون في جنوب الجزيرة العربية، ففي سنة ١٧٨١م زارها الرحالة الإنجليزي هنري روك وأقام بها ثلاثة أيام ومنها أبحر إلى ميناء مخا اليمني، وقد تحدث عن مشاهداته فيها وعادات أهلها وطبائعهم، وفي القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي استولى الشريف محمد بن عقيل السقاف حاكم ظفار على مرباط، وفي أواخر ذلك القرن دخلت مرباط تحت حكم السيد سعيد بن سلطان لتستمر تحت حكم الدولة البوسعيدية إلى يومنا هذا.[1]

---

١ - انظر بحث المكانة التاريخية لولاية مرباط، سعيد بن خالد العمري، ص ٧٠ - ١٩٠، كتاب مرباط عبر التاريخ، اصدار المنتدى الادبي، ٢٠١١م.

آل منجوه:

في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ظهرت في مرباط كما قلنا أسرة آل منجوه في حدود سنة ٤٨٠هـ وتختلف المصادر حول أصل المنجويين فابن مجاور(ت ٦٩٠هـ) ينسبهم الى الفرس أهل سيراف، أما باطحن والجندي فيذكر أنهم من قوم يقال لهم بيت بلخ بضم الباء ونسبهم في مذحج، أما السيوطي في تحرير الأنساب فيقول: "المنجوي منسوب إلى منجويه جد الحافظ أبوبكر بن منجويه"، وقد ذكر صالح الحامد أن ظفار كانت متعلقة بحكم آل الجلندى ملوك عمان قبل القرن السادس الهجري ثم انفصلت وصار لها أمراء مستقلون هم المنجويون، ويذكر الحداد في الشامل أن المنجويين كانت لهم هيمنة على آل راشد أمراء تريم بحضرموت مما يدل على قوة المنجويين واتساع دائرة نفوذهم.

ما يهمنا أن المنجويين في القرن السادس الهجري كانوا يحكمون منطقة تمتد من ظفار إلى أطراف حضرموت وكانت مرباط قاعدة حكمهم، ولقد ازدهرت في عصرهم تجارة الخيل واللبان والسفن في مرباط، ومن الذين تحدثوا عن مرباط في تلك الفترة الشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ) - وكان معاصر للقلعي - قائلاً: "وجبال مرباط تنبت شجر اللبان ومنها يتجهز له إلى جميع المشارق والمغارب، وأهل مرباط هذه قوم أخلاط من اليمن وسائر قبائل العرب، ومنها إلى قرية حاسك على البحر أربعة ايام في البر ومجريات في البحر ويقابل حاسك في البحر جزيرتان جزيرة خرتان وجزيرة مرتان وقد تقدم ذكرهما، وعلى حاسك جبل يسمى لوس نوس وهو جبل كبير مطل

على البحر، وأرض عاد تقابله من جهة الشمال ومن حاسك إلى قبر هود أيضا مقدار ميلين، وحاسك مدينة صغيرة كالقرية متحضرة وبها مصيد للحوت كبير وهي على جون الحشيش".

كما تحدث عنها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في معجم البلدان في ذلك العصر قائلاً: "مرباط بالكسر ثم السكون وباء موحدة وآخره طاء مهملة فرضة مدينة ظفار بينها وبين ظفار على ما حدثني رجل من أهلها مقدار خمسة فراسخ، ولما لم تكن ظفار مرسى ترسو فيه المراكب وكان لمرباط مرسى جيد كثر ذكره على أفواه التجار، وهي مدينة مفردة بين حضرموت وعمان على ساحل البحر لها سلطان برأسه ليس لأحد عليه طاعة، وقرب مدينته جبل نحو ثلاثة أيام ينبت شجر اللبان ويلقط ويحمل الى سائر الدنيا وهو غلة الملك يشارك فيه لاقطيه.. وأهلها عرب وزيهم زي العرب القديم وفيهم صلاح مع شراسة في خلقهم وزعارة وتعصب وقد اجتمعت بكيس بجماعة كثيرة".

ولقد شجع المنجويون الحركة العلمية في مرباط فأصبحت في عهدهم رباطاً علمياً يؤمه طلبة العلم من كل اتجاه، وتوافد عليها العلماء والفقهاء واتخذوا منها داراً ومركزاً يشجعهم محبة المنجويين للعلم والعلماء واهتمامهم به وبحملته، وقد ظهر فيها في ذلك العصر العديد من العلماء الكبار ممن لا تخلو صفحات التاريخ من تسطير مكانتهم وفضلهم وعلو كعبهم في العلوم والصلاح منهم:

- الإمام الشريف جمال الدين أبوعبدالله محمد بن علي بن علوي العلوي الحسيني المتوفى بمرباط سنة ٥٥٦هـ، وأصله من تريم بحضرموت وهاجر إلى مرباط في أيام المنجويين، وكانت القوافل تسير من بيت جبير قرية

بحضرموت إلى مرباط في خفارته وذلك لعلو شأنه ومكانته بين الناس، وقد أسس في مرباط رباطاً علمياً تخرج منه عدة فقهاء أمثال معروف بن أسلم بن منظور المرباطي بلدا (ت٥٦٧هـ) وقد تولى القضاء بها، والشيخ عبدالله بن علي الظفاري والقاضي باعيسى وغيرهم.

- القاضي يحيى بن أحمد بن أبي عوافي وهو من فقهاء ذلك العصر، وكان ممن تولى القضاء بمرباط في تلك الفترة.

- القاضي يحيى بن أبي نصير وهو قاضي مرباط الذي التقى بالإمام محمد القلعي عند وصوله مرباط، وأشار على السلطان المنجوي بإبقائه عنده، وهو ممن أخذ عن القلعي ولزم مجلسه.[1]

الإمام القلعي يصل إلى مرباط:

شاء الله لما أراد بمرباط وظفار خيراً أن يقف المركب الذي يحمل الإمام والمتوجه إلى بغداد في مرباط، وتقديري أن ذلك كان في سنة ٥٥٦هـ بعد خروجه من زبيد الى عدن سنة ٥٥٤هـ، وحاكم مرباط في ذلك العهد السلطان أبو الأكحل أحمد بن محمد المنجوي، وكان محباً للعلماء معظماً لهم، وربما تصادف نزول الإمام بمرباط في نفس العام الذي توفي به الإمام محمد بن علي بن علوي صاحب مرباط!، وكأن القدر أهدى مرباط قدوم القلعي إليها ليكون عوضاً وقائماً فيها بالعلم في ذلك الزمان.

وحسب رواية الجندي فقد نزل من كان في المركب إلى الفرضة للاستراحة والتسوق، ونصبت للإمام خيمة خاصة على الشاطئ يستريح فيها من ضنك

١ - المرجع السابق.

البحر مما يدل على مقامه عند أهل المركب، وهذا ما لفت انتباه الفقيه يحيى بن أبي نصير - قاضي مرباط في ذلك العصر - فسأل عنه فعلم من شأنه ما شجعه على الجلوس إلى الإمام ومحاورته في مسائل الفقه والعلم فوجده بحراً زاخراً فيها؛ فما كان من ابن أبي نصير إلا أن أسرع يبلغ السلطان أبو الأكحل الذي لم يتوانَ في الأمر، فخرج في موكب عظيم من الوجهاء والأعيان والتجار من أهل مرباط مسارعين إلى الإمام، وكأنهم وقعوا أخيراً على ما كانوا يطلبونه ويبحثون عنه.

ويذكر الجندي نص الحوار الذي دار بين السلطان والإمام، ومدى حرص الأول على الظفر بالكنز الذي قذف به اليم إليهم، فكان السلطان يلح عليه ويرجوه الإقامة والقلعي يتقدم بالأعذار ومراده بلوغ الحضرة العباسية، ونعجب أن السلطان لم يترك باباً من هذه الأعذار إلا وأغلقه بهمة وإصرار، فما يطلبه القلعي من علم ببغداد سيوفره بفتح خزائنه من الكتب التي ربما يجد فيها عوضاً، وأما المال فللقلعي منه ما يغنيه عمن سواه، أما الأمن فلن يضيره إلا ما يضيره السلطان!.

وما يستوقفنا في قصة وصول الإمام القلعي إلى مرباط، أننا نجد روايتين لها الأولى عند الجندي (ت ٧٣٢هـ) الذي ينقلها عن شيخ قديم من أهل ظفار -وهو الفقيه محمد بن احمد بن عبدالله بن حمدي الظفاري [1]- ورواية أخرى عند محمد باطحن من أهل القرن السابع الهجري / الثالث عشر

١ - ذكر الجندي ان الفقهاء آل حمدي كانوا خطباء بمدينة ظفار ثم زاحمهم آل ابي ططة في الخطابة فخرجوا مغاضبين الى طاقة وهي قرية من اعمال ظفار كما يذكر، ويظهر ان الجندي التقى بابن حمدي في عدن اثناء دخوله إليها لطلب العلم.

الميلادي وهي الأقدم، ينقلها عنه عبدالله بن جعفر الكثيري في رسالة الدلائل والأخبار في خصائص ظفار، وتعود للقرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

فباطحن يذكر أن القلعي وصل إلى مرباط قادماً من عدن يريد بغداد، بينما الجندي يقول إنه وصل إليها قادماً من الحج قاصداً بلده!، وإذا اعتمدنا الرواية الأقدم وهي رواية باطحن اتضحت لنا القصة، ولعل التقدير الذي نجمع به بين الروايتين أن الإمام القلعي خرج من عدن للحج ومن مكة استخار الله كعادة العلماء وقرر أن يتوجه إلى بغداد دار الخلافة، وذلك من تدبير الله لوصوله إلى مرباط!، أما ما ورد عند الجندي في أن القلعي كان راجعاً إلى بلده، فربما كانت في نيته أن يتوجه من بغداد إلى حلب، إذا أخذنا بالأقوال التي تذكر أن أصله منها، وربما يكون أمراً غير ذلك خفي علينا وطوته عنا سجلات التاريخ.

وهناك أيضا نقطة أخرى في القصة تستدعي الوقوف عندها!، فكلتا الروايتين تذكر أن حاكم مرباط الذي وصل القلعي إليها في زمانه هو محمد بن منجوه الشهير بالأكحل!، لكن مصادر التاريخ تخبرنا أن الحاكم في ذلك الوقت هو والده أحمد بن محمد المنجوي، وهو الأرجح لأن الأكحل تولى الحكم سنة ٥٧٣هـ بعد وفاة والده في نفس العام، وكما اسلفنا فإن القلعي وصل مرباط سنة ٥٥٦هـ على وجه التقريب، وقد عاش في فترة الأكحل أيضا بضع سنوات حتى وفاته سنة ٥٧٧هـ.

وبالرجوع الى قصة الحوار بين الإمام القلعي والسلطان المنجوي وأمام

الإلحاح والإصرار فقد وافق الإمام ولبى رغبة السلطان وأهل مرباط بالإقامة عندهم، فما كان منهم إلا أن سارعوا الى نقل حاجاته الى دار جاهزة فوراً وكأنهم بذلك يريدون أن لا يتركوا له مجالا لتغيير رأيه، وأمر السلطان بمن يقوم على خدمة الإمام ورعاية مصالحه ونفقته، ولا يخفي الجندي إعجابه بموقف السلطان احمد المنجوي والقاضي يحيى بن أبي نصير بقوله:

"فلينظر فقهاء زماننا وحكامه كيف لم يداخل القاضي حسد كما هو في غالبهم أعني القضاة، وكذلك السلطان لم يستكبر على أهل بلده ولا على الفقيه".

وظل الإمام القلعي يعيش في مرباط طيلة حكم السلطان أبو الأكحل المنجوي، وتوافد طلبة العلم عليه من كافة أنحاء ظفار وعمان واليمن، ويذكر الجندي انه عندما خرج للحج من مرباط تسامع به الناس وعقدت له حلقة في الحرم تخرج به العديد من الفقهاء منهم الامام ناصر بن العطار المصري الذي ذكرناه في تلاميذه.

ومن مرباط شاعت أخبار القلعي وأصبح شيخ الشافعية فيها ومفتيها وقاضيها كما يصفه ابن سمرة، وتبارى أهلها في النفقة على طلاب القلعي وزواره، ويحدثنا الجندي عن التاجر أبوفير المرباطي[1] المحب للعلم الذي كان يتحمل نفقة كل من يفد على الإمام أبي عبدالله القلعي ويتولى معيشتهم في مرباط، فلما وافته المنية قبر الى جوار الأمام فكان يشم من قبريهما رائحة المسك!، وفي حياة الإمام في مرباط توفي مضيفه السلطان أبو الأكحل

١ - الجندي، مرجع سابق.

أحمد بن محمد بن منجوه المنجوي سنة ٥٧٣هـ، فتولى الحكم من بعده ابنه محمد الأكحل.

السلطان الأكحل محمد بن أحمد المنجوي:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن منجوه المنجوي المشهور بالأكحل، لقب بذلك لكحل كان بعينيه، يقول عنه بامخرمة هو آخر من ملك مرباط من المنجويين، أما ابن خلدون وابن الأثير فأطلقوا عليه صاحب مرباط أي حاكمها، وكان أوحد أهل زمانه كرماً وحلماً وتواضعاً، وفي عهده وقعت قصة الشاعر التكريتي وكان من تجار عدن غرق مركبه وفيه كل قماشه قرب مرباط، فلما دخل مرباط قصد الأكحل ومدحه بقصيدة رائعة مشهورة في كتب التاريخ منها:

الإمـام الطاهـر النسـب
الزكي الطّيـب الحسـب

السحاب الساكب، اللجب الهتون العارض الهطل

الهزبـر المنجـويّ إذا
ألقت الحربُ العـوان إذا

هـو تـاج والملـوك حـذا بل حضيض وهو كالقلل

طالما قد ضَنَّتِ السحب
واشرأب المحل والسَّغبُ

وعـوادي كفـه الشـهب بالضحى تهمي وبالأصل

لوهمــت يومــاً غمائمــه
بلظــى ناحــت حمائمه
فهــو مــذ ميطــت تمائمــه مولــع بالخيــل والخَــوَل

يمنــح السّــؤال قبل متــى
سـأل المضطــر أو ســكتا
لو أتــى بعد الرســول فتــى كانــ حقاً خاتــم الرُسُــل

وعــذولٍ بــاتــ يعذلــهُ
ولديــه المــال يبذلــه
قصــده عــن ذاكــ يخذله وهو لا يصغي إلــى العذل

حكــت الأنــوا أناملــه
وهي تخشــى أنــ تقابله
فــإذا مــا هــز ذابلــه قــرّبــ الأرواح بالأجــل

مــا لــه مثــل يماثلــه
لا ولا شــكل يشــاكله
ولــه فيمــا يحاولــه هِمّــةٌ تعلــو علــى زحــل

كف كــفَّ الدهر حين ســطا
ويــداه نحونــا بســطا
فغدونــا أمّــةً وســطا بعد ذاك الخوفــ والوجل

كيف نخشى بعده الزمنا
وأبو عبد الإله لنا
ارتدى مجداً وألبسنا حللاً ناهيك من حلل
هو قس في فصاحته
ولؤي في صباحته
وهو معن في سماحته وابن عباس لدى الجدل

فأعطاه مركب جاء له من بعض البلاد، فلما وصل الشعر إلى سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وكان ملكاً على اليمن غضب وأمر نائبه على عدن بالقبض على التكريتي فلما وقف بين يديه قال له: كيف تقول هو تاج والملوك حذا؟، فقال: لم أقل بخفضها إنما قلت بفتحها أي متحاذين متساويين، فأعجب سيف الإسلام رده وأطلقه، فلما وصل خبر حبسه إلى الأكحل بعث إليه بمركب آخر فوصل إليه وقد أطلق سراحه، فلما نقل الخبر إلى سيف الإسلام قال: "يحق لمادح هذا أن يقول فيه ما شاء"، ومن طرف أخباره أن جماعة من أعيان حضرموت تجهزوا من بلادهم لقصده بهدايا تليق بأحواله فصحبهم فقير سمعهم يذكرونه بالكرم والإسداء، ثم ذكر كل واحد منهم ما وصل به إليه من هدية، فأخذ الفقير ضغثا من الأسوكة عددها سبعة وجعلها حزمة، فلما وصلوا البلاد وأذن لهم بالدخول وسلموا عليه، وضع الفقير الأسوكة وأنشد شعرا:

جعلت هديتي لكم سواكا ولم أقصد به أحد سواكا
حملت إليك ضغثا من أراك لعلي أن أعود وأن أراكا

فأمر السلطان أن تخلى لهم وللفقير بيوتا، وبعث للفقير جاريتين تخدمانه مدة إقامته وكان كذلك يفعل لكل ضيف يصله، ثم عزم الفقير على السفر فاستأذن في ذلك فأذن له بعد أن سأل عن عدد الأسوكة التي جاء بها الفقير فقيل له سبعة، فقال: يعطى مما في خزانتي من كل شيء سبعة اجزاء، فمما كان يوزن بالميزان سبعة أمنان، من المسك والزعفران ونحوهما، ومما كان يوزن بالبهار الحديد والقار ونحوهما سبعة أبهرة.

وتوفي الأكحل سنة ٥٩٦هـ كما ذكر شنبل، بينما في جاء السلوك أن وفاته بعد سنة ٦٠٠هـ، قال "وتوفي المنجوي على حال من التقى والعفاف والعدل والكرم والحلم والتواضع والإنصاف بعد الستمائة وقبره بين مرباط وظفار، وذكر لي بعض الثقات أنه كثيراً ما يسمع من قبره قراءة القرآن، ولم يعقب له عقب ولا بقي من أهله كامل"، ولقد جاء في العقد النبوي للعيدروس أن محمد بن أحمد الحميري هو الذي قتل المنجوي بعد قتال بينهما، وأغلب الظن أن المقتول هو منجوي آخر وليس الأكحل. [1]

- وفاة الإمام أبوعبدالله القلعي بمرباط سنة ٥٧٧هـ:

عاش الإمام أبوعبدالله محمد بن علي بن الحسن بن أبي علي القلعي في مرباط ٢٠عاماً تقريباً، رسخ فيها قواعد المذهب الشافعي ووطد أركانه ونشر لواءه منها إلى ما جاورها من البلدان، وفي سنة ٥٧٧هـ توفي الإمام أبوعبدالله القلعي بمدينة مرباط في عهد السلطان الأكحل محمد بن أحمد المنجوي وقبر بمقبرتها، ولا زال ضريحه فيها مزاراً ومعلماً.

---

١ - العمري، مرباط عبر التاريخ، مرجع سابق.

والجدير بالذكر أن كثيراً من المصادر وقعت في خطأ حول تاريخ وفاته، حيث إنها تذكر أن الإمام القلعي توفي بمرباط سنة ٦٣٠هـ!! وأول من ذكر ذلك هو الجندي ونقل عنه من بعده، بل إن الجندي يذكر أنه عاش ليشهد نهاية الدولة المنجوية في مرباط وقيام الدولة الحبوظية على أنقاضها مع مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ويذهب إلى أبعد من ذلك فيذكر أن الإمام القلعي انتقل مع الحبوظي إلى المنصورة مدينته الجديدة وظل فيها ينتقل بينها وبين مرباط مرضاة له بعدما هدم أغلب بيوت مرباط إلا بيت الإمام إجلالًا له إلى أن توفي بمرباط سنة ٦٣٠هـ!!، وبهذا يكون بين خروجه من زبيد الى وفاته بمرباط ٧٦سنة!، ويترتب عليه أن الإمام القلعي قد توفي بعد أن جاوز المائة بعقد أو عقدين من عمره، ويعطينا الجندي تفسيراً لذلك بقوله: "وعمر طويلاً"!.

لكن من خلال البحث التاريخي يتأكد لنا أن الإمام القلعي مات بمرباط سنة ٥٧٧هـ وليس ٦٣٠هـ وذلك بناءً على ما يلي:

١ - قبر الإمام القلعي بمرباط يحمل شاهد الوفاة الأصلي ومكتوب عليه: (هذا قبر الإمام الأوحد أبوعبدالله محمد بن علي القلعي، توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة من الهجرة النبوية) وهذا أقوى دليل على أن وفاة القلعي كانت سنة ٥٧٧هـ.

٢ - ذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٢هـ في معجمه أن القلعي مات بمرباط، وهذا دليل على أن وفاة الإمام القلعي كانت قبل سنة ٦٢٢هـ التي توفي فيها ياقوت.

٣ - ذكر ابن الغزي في ديوان الإسلام أن الإمام أبوعبدالله القلعي توفي

سنة ٥٩٥هـ!، وهو أقرب إلى التاريخ على شاهد القبر - ٥٧٧هـ - ولو أن بينهما ٢٢ سنة!.

٤ - إذا رجعنا إلى تواريخ وفيات تلاميذ الإمام القلعي أغلبها بعد سنة ٥٧٧هـ وقبل سنة ٦٣٠هـ أو بعدها بقليل، فمثلا الامام السبتي توفي سنة ٦٦٠هـ وابن العطار المصري سنة ٦٤٣هـ وابن ماضي اليماني سنة ٥٨٦هـ والشريف عبدالله بن محمد توفى سنة ٥٩٢هـ و بامروان سنة ٦٢٤هـ، فاستدلا بأن شيخ هؤلاء وهو الامام القلعي توفي قبلهم سنة ٥٧٧هـ.

٥ - الفقيه ابو نزار ربيعة بن الحسن درس على ابن العطار المصري بمكة سنة ٦٠١هـ، فلو كانت وفاة القلعي ٦٣٠هـ لكان الاحرى به الاخذ عن الشيخ لا عن التلميذ!، وهذا دليل على ان الامام القلعي قد مات قبل ٦٠١هـ.

٦ - يذكر باطحن ان السلطان احمد الحبوظي لما اكتمل بناء مدينته الجديدة المنصورة كان يقدم موكبه عند دخولها الشيخ تاج العارفين سعد الدين الظفاري الذي توفي بالشحر سنة ٦٠٧هـ، فلا يعقل ان يكون الامام القلعي وهو امام البلاد حياً ويغفل الحبوظي عنه وعن التشرف به في افتتاح مدينته!.

ونجد ان اول من قال بوفاة الامام القلعي سنة ٦٣٠هـ هو الجندي كما قلنا والاقرب إلى المنطق أنه خلط بين وفاة الإمام محمد بن علي القلعي ووفاة الفقيه محمد بن علي باطحن الظفاري صاحب رسالة "تحفة المريد وأنس المستفيد في مناقب الشيخ سعد الدين تاج العارفين" خاصة أن كليهما اسمه محمد بن علي، ونقل عنه من بعده هذا الخلط دون تمحيص، والفيصل

عندنا في هذا الاشكال هو شاهد قبر الإمام محمد بن علي القلعي في مرباط كما اسلفنا.

نظرة عامة على المذاهب والحياة الفكرية في عصر الإمام القلعي:

١ - الحياة الفكرية في العالم الاسلامي في عصر القلعي:

تميزت تلك الفترة من القرن السادس الهجري وما قبله بتعدد المذاهب والنحل التي انتشرت في العالم الاسلامي، فقبيل ذلك القرن ظهرت حركة القرامطة في هجر بالإحساء، وتعتبر من الحركات الباطنية التي عمت المسلمين ببلائها، وهناك من المؤرخين المعاصرين من يرى أن الحركة القرمطية مثلت النظرية الاشتراكية في صورتها الأولية!!.

ولقد مد القرامطة نفوذهم على مناطق واسعة من الجزيرة العربية ووصلت غزواتهم إلى عمان واليمن، وفي سنة ٣١٧هـ دخل أبوطاهر القرمطي مكة وقتل الحجاج ونزع الحجر الأسود وحمله الى هجر ليعود إلى مكانه بعد ٢١ عاماً من ذلك بوساطة الفاطميين، وانتهت الحركة القرمطية سياسيا في القرن الرابع الهجري على أيدي العيونيين أمراء الإحساء والبحرين الذين تحالفوا مع بني مكرم أمراء عمان كما ذكر ابن خلدون، لكن ظلت لأفكارهم بقايا وكما ذكرنا فإن هناك من المؤرخين من كان يرى أن علي بن مهدي الرعيني الذي أحدث الفتنة في زبيد سنة ٥٥٤هـ وكانت سبباً في هجرة القلعي منها كان قرمطي المذهب.

كما كان في ذلك العصر أيضاً بقية من فكر المعتزلة ومذهبهم، ويرى

بعض الباحثين أن الإمام القلعي نفسه تأثر ببعض آراء المعتزلة!!، كما ظهرت الحركة الفلسفية في أدبيات الفكر الإسلامي وظهر في تلك الفترة فلاسفة نبغوا في هذا المجال مثل المفكر الإسلامي الأندلسي ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) صاحب كتاب [تهافت التهافت] الذي وضعه رداً على كتاب [تهافت الفلاسفة] للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ).

ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث انتقلت في تلك الفترة من بلاد فارس إلى بقية العالم الاسلامي، وظهر في ذلك العصر أقطاب الفكر الصوفي أمثال الشيخ عبدالقادر الكيلاني (ت ٥٦١هـ) مؤسس الطريقة القادرية في التصوف، والشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٤٠هـ) مؤسس الطريقة الرفاعية، ولم تخلُ بعض الطرق الصوفية في ذلك العصر من الشطحات والغلو مثل الطريقة الإشراقية الفلسفية لصاحبها أبو الفتوح السهروردي (ت ٥٨٧هـ) الذي حكم عليه صلاح الدين الأيوبي بالقتل بتهمة الكفر والزندقة.[١]

٢- الحياة الفكرية في زبيد في عصر القلعي:

بالنسبة لزبيد موطن القلعي الأول تميزت بتعددية المذاهب وكان الخلاف بين الحنفية والشافعية والتنافس على احتلال الصدارة والإدارة الفكرية والمذهبية فيها، وكان كل مذهب منها يتم دعمه فكرياً ومعنوياً من اقرانه في البلدان الاخرى لدرجة انه لما تصدر الفقهاء آل ابي عقامة في زبيد فجهروا بالبسملة في الصلوات تباشرت بذلك الشافعية في الحجاز والشام ومصر

١٠ إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، ص ٢٢٩ - ٢٨٠.

وسارت الاخبار بعلو مقام مذهب الشافعي على مذهب ابي حنيفة باليمن، وهذا ما جعل بعض فقهاء الأحناف يقف موقف الحياد عندما قام ابن مهدي بالتنكيل بالشافعية بزبيد، بل ان بعضهم حظي بالتقريب والحظوة عنده.

وفي ذلك العصر كان المذهب الإسماعيلي الشيعي يصول ويجول على صهوات الصليحيين دعاته باليمن والقائمين بالدعوة الفاطمية فيها، وقد زاحم المذهبان الشيعيان الاسماعيلي والزيدي المذهبين الحنفي والشافعي السنيين في أرجاء اليمن مع وجود بقية للمذهب الإباضي في حضرموت في تلك الفترة، وقد اتخذت الدويلات التي تقاسمت حكم اليمن في القرن السادس الهجري مذهباً من تلك المذاهب ترفع له اللواء والنصرة، فالدولة الصليحية في جبلة إسماعيلية والزريعية في عدن إسماعيلية أيضاً، ودولة الأئمة في صنعاء وصعدة زيدية ودولة آل مهدي في زبيد قرمطية أو شيعية وإمارة إباضية في شبام، ودخلت المذاهب بدخول معتنقيها في معارك وصراعات دموية، لم يحسمها إلا دخول جيوش الدولة الأيوبية اليمن في ذلك العصر وتمكينهم للمذهب الشافعي واتخاذه مذهباً رسمياً للدولة والقضاء على تلك الدويلات ومذاهبها الا من تحصن منها في الجبال.[1]

٣- الحياة الفكرية في مرباط في عصر القلعي:

يذكر بعض المؤرخين أن مذهب الإباضية كان له حضور في ظفار في القرن الرابع الهجري وانتشر بينها وبين عمان وحضرموت بدءاً من ثورة الإمام

١ - الجندي، مرجع سابق.

الإباضي طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي سنة ١٣٠هـ[1] على الأمويين في حضرموت، ويذكر كل من البشاري والمسعودي أن أهل الاحقاف - ظفار ومهرة وحضرموت - كان مذهبهم إلى منتصف القرن الرابع الهجري خوارج غلاة!، وقد بقيت الإباضية في شبام الحضرمية الى نهاية القرن السادس الهجري.[2]

أما ظفار فالأرجح ان الفكر الإباضي انحسر قبل ذلك العصر بفترة، وقد ذكر الشاطري في ادوار التاريخ الحضرمي ان الامام محمد بن علي صاحب مرباط كان له دور في ذلك عندما عمل على ادخال مذهب الشافعي إليها بعدما كان أهلها اباضية!.[3]

وحسب المعطى التاريخي فإن اهل مرباط وظفار كانوا على مذهب ابي حنيفة عند وصول الامام القلعي إليها كما ذكر صاحب رسالة "الدلائل والأخبار في خصائص ظفار"، ولكن ينقض هذا موقف السلطان المنجوي وأهل مرباط من الامام القلعي واحتفاؤهم الشديد به وهذا يدل على أنهم على نفس مذهبه، ويعلم المتتبع لتاريخ المذاهب وحركتها كيف كان التنافس والتنافر بين أتباع المذاهب، وأحيانا بين أتباع المذهب الواحد.

---

١ - الامام عبدالله بن يحيى الكندي الإباضي قام بثورة على الامويين في حضرموت واستولى على اليمن والحجاز قتل سنة ١٣٠هـ في الطائف في معركة بينه وبين جيش الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

٢ - ذكر كثير من المصادر ان اهل الاحقاف وتشمل ظفار والمهرة وحضرموت كانوا اباضية في الفترة بين القرن الثاني والرابع الهجريين، ويذكر السالمي في تحفة الاعيان ان أئمة الاباضية في عمان كانوا يجبون الزكاة من مهرة في القرن الرابع الهجري مما يشير الى امتداد الاباضية الى تلك الناحية.

٣ - الشاطري، ادوار التاريخ الحضرمي، ج ٢، ص ٢٨٥.

والأقرب إلى التحليل أن المذهب الحنفي كان منتشراً في ظفار قبل ذلك العصر، ومع قيام الدولة المنجوية التي على الأرجح أنها كانت شافعية المذهب لعبت نفس الدور الذي قامت به الدولة الأيوبية في اليمن من نشر للمذهب، وهذا يفسر لنا الترحيب الكبير الذي أبداه المنجوي للإمام القلعي وإصراره الشديد على إقامته عنده في مرباط.

وهنا نقف عند كلام الشاطري بأن اهل ظفار كانوا اباضية في القرن السادس الهجري عند دخول الامام محمد بن علي بن علوي صاحب مرباط، وكلام باطحن انهم كانوا على مذهب ابي حنيفة عند دخول الامام محمد بن علي القلعي في نفس الفترة، وتفسير ذلك ان المذهبين كانا لهما وجود في ظفار حينها وقد استطاع الإمام أبوعبدالله محمد بن علي القلعي في ظل دعم وتأييد مادي ومعنوي من الدولة المنجوية أن ينشر المذهب الشافعي في ظفار انطلاقا من مقر إقامته بمرباط، وبالرجوع الى ما كلام باطحن عندما قال "فأصبحت البلاد مذهباً واحداً وعقيدة واحدة"، يتضح لنا وجود اكثر من مذهب فقهي وعقدي في ظفار قبل الامام القلعي اختفت كلها بعده.

التوصيات

بعد هذا الاستعراض السريع لحياة الإمام القلعي وعصره، فإننا نوصي بما يلي:

١ - الاهتمام بتاريخ وتراث هذا العلم الكبير وإنصافه تاريخياً وعلمياً وأدبياً، وعقد ندوات ومحاضرات يتم فيها استضافة العلماء والباحثين للتعريف بتاريخ الإمام ومؤلفاته.

٢ - البحث عن مؤلفاته المنتشرة في مكتبات الآثار والمخطوطات في الدول العربية والإسلامية وإعادة طباعتها وتحقيقها ونشرها ليتسنى للجميع الاستفادة منها.

٣ - إضافة فقرات في المناهج الدراسية العمانية عن الإمام محمد بن علي القلعي يتعرف من خلالها الطلبة على علم من أعلام التاريخ العماني.

المراجع

اولا: المخطوطات:

١ - القلعي، محمد بن علي / المستغرب من ألفاظ المهذب / مخطوط / وزارة التراث والثقافة / مسقط.

٢ - القلعي، محمد بن علي / ايضاح الغوامض من علم الفرائض / مخطوط/ المكتبة الوطنية / تونس.

٣ - الكثيري، عبدالله بن عمر بن جعفر / الدلائل والاخبار في خصائص ظفار / مخطوط / وزارة التراث والثقافة.

ثانيا: المراجع المطبوعة:

١ - القلعي، محمد بن علي / تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة / تحقيق محمد مصطفى عجو / الطبعة الاولى / مكتبة المنار / الأردن، ١٩٨٥م.

٢ - الجندي، بهاء الدين / السلوك في طبقات العلماء والملوك / تحقيق محمد الاكوع / الطبعة الاولى / مكتبة صنعاء الاثرية / صنعاء.

٣ - الحكمي، نجم الدين عمارة / المفيد في اخبار صنعاء و زبيد / الطبعة الثانية / مطبعة السعادة / القاهرة / ١٩٧٦م.

٤ - الخزرجي، علي بن الحسن / العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية/ تحقيق محمد بسيوني / مطبعة الهلال / القاهرة / ١٩١١م.

٥ - مرباط عبر التاريخ / حصاد ندوة المنتدى الادبي ٢٦ - ٢٧ سبتمبر ٢٠١١م / الاصدار الثامن عشر / الطبعة الاولى / ٢٠١٢م.

٦ - ابن رزيق / الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان / تحقيق عبدالمنعم عامر / وزارة التراث والثقافة / ١٩٨٤م.

٧ - الحموي ياقوت / معجم البلدان / الطبعة الثانية / دار صادر / بيروت / ١٩٩٥م.

٨ - السبكي، تاج الدين عبدالوهاب / طبقات فقهاء الشافعية / الطبعة الثانية / القاهرة / ١٤٣١هـ.

٩ - ابن قاضي شهبة، ابوبكر بن احمد / طبقات الشافعية / الطبعة الاولى / دار الكتب / بيروت / ١٩٨٧م.

١٠ - الجعدي، عمر بن علي بن سمرة / طبقات فقهاء اليمن / دار القلم / بيروت / ١٩٥٧م.

١١ - الزركلي، خير الدين / الأعلام / دار العلم للملايين/ ط ١٥/ بيروت/ ٢٠٠٢م.

١٢ - يوسف بن تغري بردي / النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / دار الكتب / القاهرة / ١٩٩٥م.

١٣ - احسان الهي ظهير / دراسات في التصوف / دار الإمام / الرياض/ ٢٠٠٥م.

١٤ - محمد الشاطري / ادوار التاريخ الحضرمي / دار المهاجر / جدة / ١٩٩٤م.

١٥ - علوي طاهر الحداد / عقود الالماس بمناقب الحبيب احمد بن

حسن العطاس / ط ٢ / مطبعة المدني / القاهرة / ١٩٦٨م.

- البحوث والدوريات:

١ - الزيلعي، احمد عمر / دولة بني مهدي من خلال درهم فضة ضرب زبيد عام ٥٦٦ هـ / مجلة الخليج للتاريخ والاثار / دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والاثار بدول مجلس التعاون / جوجل

محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي

(سيرته و مآثره)

بقلم: عمر بن عبدالله محروس الصيعري

(ندوة الإمام القلعي - النادي الثقافي)

الاثنين ٣١/١٢/٢٠١٢

المقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على نبيه وعباده الذين اصطفى، وبعد...

هذا بحث مختصر في (حياة ومآثر الإمام أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن أبي علي القلعي) رحمه الله المتوفى بمرباط سنة ٥٧٧ هـ، وقد جعلته في فصلين: الأول تناول الحياة العلمية في مرباط قبل الإمام القلعي في أربعة مطالب جاء الأول ليتحدث عن الحياة العلمية في مرباط في العصور الإسلامية الأولى وفي حديث ذي صلة حاول المطلب الثاني أن يجيب على سؤال يتعلق بدخول المذهب الإباضي إلى مرباط في القرنين الرابع والخامس الهجريين وما قبلهما، أما المطلب الثالث فقد خصصناه للحديث عن الحياة العلمية في القرنين الخامس والسادس الهجريين وتحدثنا في المطلب الرابع عن الإمام محمد بن علي باعلوي المعروف بصاحب مرباط ودوره في مرباط قبيل القلعي، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن تلاميذ محمد بن علي صاحب مرباط لندخل في الفصل الثاني والذي عنوناه بـ (الإمام محمد بن علي القلعي حياته ومآثره ودوره في مرباط) متناولين ذلك في اثني عشر مطلبا تناولت اسمه ولقبه ونسبته وشيوخه وشهرته العلمية وأبرز من ترجم له ومؤلفاته.. كما تحدثنا فيه كذلك عن قصة قدومه إلى مرباط والروايات في ذلك وشهرته في مرباط وحضرموت وحواليهما وتطرقنا في مطلب مهم من هذه المطالب إلى الحديث عن العلاقة المدعاة بين القلعي وصاحب مرباط ودورهما في إدخال المذهب الشافعي ونشره في مرباط

وظفار.. كما تحدثنا كذلك عن تلاميذه والعلماء الذين أخذوا عن كتبه.. ثم أجبنا في مطلب آخر عن سؤال هل كان القلعي معتزليا أم لا.. وأشرنا في مطلب آخر إلى شعر القلعي ثم ختمنا هذا الفصل بالحديث عن وفاته وأصح الأقوال فيها.. ثم خاتمة البحث

تلك هي باختصار وإجمال مطالب هذين الفصلين... والحقيقة أن الحديث عن الإمام محمد بن علي القلعي يحتاج إلى مزيد بحث وتقص.. خاصة فيما يتعلق بالجانب الفقهي من حياته وكذلك الكثير من جوانب حياته الأخرى التي لا تزال غامضة كهل له ذرية أم لا؟، وشيوخه وأصله وتلاميذ تلاميذه.. ومصادره العلمية في مرباط وغير ذلك مما يحتاج إلى مزيد بحث وتحرٍ ليخرج الباحث بالصورة الكاملة للرجل وعصره وحياته..

إن هذا البحث لا يطمح أن يفي القلعي حقه.. ولكنه يطمح أن يزيل بعضا من ذلك الضيم والتجاهل اللذين لحقا بهذا العالم الجليل، الذي كان ومازال له بصمات واضحة في العلم الشرعي والفقهي والذي ما زال محفورا في ذاكرة أهل مرباط على مر هذه العصور..

لقد أبت مكانة القلعي إلا أن تحفظ له قدره وعلوه رغم تعاقب السنين وكر الليل والنهار ورغم تلك الأعين العمياء والآذان الصماء التي أغلقت دونه.. فلم تذكره ولم تعمل على لفت الأنظار إليه لسبب أو آخر.. إن مطالب هذا البحث إنما تحاول أن تساعد في إنارة درب البحث حول هذا الإمام الجليل في مستقبل الوقت للباحثين... والله المستعان.

الفصل الأول: الحياة العلمية في مرباط قبل الإمام القلعي

أشرنا في بحثنا (الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط) والذي قدمناه لندوة مرباط عبر التاريخ التي أقامها المنتدى الأدبي يومي ٢٦ و٢٧/٩/٢٠١١ في ماريوت مرباط إلى الكثير من المباحث التي تتعلق بالحياة العلمية لولاية مرباط قبل ظهور الإمامين محمد بن علي باعلوي المعروف بصاحب مرباط والإمام محمد بن علي القلعي رحمهما الله، ونرى هنا أنه من الضروري أن نلخص تلك المباحث لنضع القارئ في الصورة الكاملة للوضع العلمي لمرباط قبل محمد بن علي القلعي ولتتضح مكانة هذا العالم الجليل والنقلة الفارقة التي أحدثها وجوده في مرباط.

المطلب الأول: الحياة العلمية في مرباط في العصور الإسلامية الأولى

قلنا في بحثنا المشار إليه أن المصادر التاريخية لا تسعفنا بشيء يذكر عن تفاصيل الحياة العلمية على وجه الخصوص في مرباط مع ظهور الإسلام، وفي سؤال طرحناه هناك عن كيفية دخول الإسلام إلى هذا الإقليم بشكل عام وإلى مرباط بشكل خاص ذهبنا إلى أن مرباط كانت من أسبق المناطق إلى الدخول في الإسلام في هذا الإقليم مستأنسين لذلك الرأي بوجود (ضريح زهير) في مرباط، والذي تشير أغلب المصادر التاريخية إلى كونه ضريح

الصحابي زهير بن قرضم بن العجيل المهري الذي وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه لبعد مسافته مدللين على ذلك بثلاثة أدلة ذكرناها بالتفصيل هناك [1]

كما أشرنا في بحثنا ذلك إلى أنه من المرجح أن هذه المنطقة قد ظهر فيها العديد من العلماء الذين ينسبون إلى ما يسمى قديما بشحر عمان، وإن كنا لا نستطيع أن ننسبهم إلى مرباط على وجه الخصوص من أمثال عمرو بن أبي عمرو الشحري ومحمد بن خوي الشحري وأبي عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن يحيى بن مسلم الشحري المعروف بالإمام المحدث ابن الأصفر سمع من أبي عبدالله الفراوي سنة ٦٨٠هـ.

أما بعد ذلك في عصور الخلفاء إلى نهاية القرن الرابع الهجري، فلا يوجد لدينا من مصادر تتحدث عن هذه الفترة، إلا أن المفهوم من سياق التاريخ العام للمنطقة أن مرباط كغيرها من حواضر الشحر القديم قد شهدت ثقافة إسلامية جديدة وأنها استمرت تابعة للخلافة الراشدة وفي هذا يقول الطبري: "وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع والأداة وأقام عكرمة حتى جمعهم على الذي يحب وجمع أهل النجد أهل رياض الروضة وأهل الساحل وأهل الجزائر وأهل المر واللبان وأهل جيروت وظهور الشحر والصبرات وينعب وذات الخيم فبايعوا على الإسلام فكتب بذلك مع البشير وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم فقدم على أبي بكر بالفتح وقدم شخريت بعده بالأخماس"[2]

---

١ - الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط.ص ٤

٢ - تاريخ الأمم والملوك، نسخة إكترونية (٢/٢٩٣) من الموسوعة الشاملة

ومن المرجح عندنا أن أهل المر واللبان هم أهل ظفار على وجه التحديد، وقد استمر الوضع على ذلك من بعد الخلفاء الراشدين في عهد بني أمية ومن بعدهم بني العباس وولاتهم بني زياد على اليمن وعموم بلاد الشحر القديم وهو ما نجد إليه إشارة مهمة عند نجم الدين عمارة المتوفى سنة ٥٨٦ هـ، في كتابه حيث يقول: " وملك ابن زياد حضرموت وديار كندة والشحر ومرباطاً وأبين ولحجاً وعدن والتهايم إلى حلي، وبين حلي ومكة حرسها الله ثمانية أيام، وملك الجبال الجند وأعمالها ومخلاف المعافر ومخلاف جعفر وصنعاء ونجران وبيحان....."[1]

والمعلوم أن بني زياد في اليمن كانوا في أوائل القرن الثالث الهجري، وهذا النص يعني فيما يعنيه أن مرباط لذلك العهد كانت حاضرة من حواضر جنوب الجزيرة المعروفة والمذكورة في التاريخ.

المطلب الأول: هل دخل المذهب الإباضي إلى مرباط

هاهنا مبحث في غاية الأهمية عن الوجود الإباضي في جنوب الجزيرة العربية بشكل عام وفي مرباط بشكل خاص، وله علاقة بالإمام القلعي على وجه الخصوص وهل كان معتزليا أم لا كما تثير بعض المراجع، فمن المعلوم من مصادر التاريخ أن المذهب الإباضي كان منتشرا في عموم بلاد الشحر وحضرموت واليمن وعمان إلى منتصف القرن الخامس الهجري[2]، ولاشك

١ - المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص ٥ نسخة pdf الكترونية طبعة مطبعة كلبرت وورنكفن لندن سنة ١٣٠٩ هـ

٢ - تاريخ حضرموت، صالح الحامد، ج ١ ص ٢٦١-٢٧٢، وانظر أيضا حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة بين الإباضية والمعتزلة، سالم فرج مفلح من ص ٢٨-٦٣ حيث أسهب في الحديث عن الأدوار الإباضية في حضرموت

أن مرباط كمثلها من حواضر هذه المنطقة قد تأثرت بالمد الإباضي في تلك الفترة، ويرى بعض المؤرخين المتأخرين أن أهل ظفار كانوا "خوارج غالية" إلى منتصف القرن الرابع الهجري، ويعزون ذلك إلى البشاري والهمداني والمسعودي [1]، "ويذكر الشاطري في (أدوار التاريخ الحضرمي) أن أهل ظفار كانوا من غلاة الاباضية حتى قدم اليهم الامام محمد بن علي بن علوي الحسيني ....، وحتى نهاية القرن الرابع الهجري كان لا يزال لأئمة عمان نفوذ في ظفار وما حولها ففي تحفة الاعيان يقول السالمي إن الامام المهنا بن جيفر الازدي كان يرسل عماله لجباية الزكاة من المهرة" [2] في حين ينقل صاحب الدلائل والأخبار عن الفقيه باطحن أن أهل ظفار كانوا حنفية قبل قدوم الإمام القلعي عليهم في النصف الأول من القرن السادس الهجري [3]

ومهما يكن من أمر فإن صورة المذاهب الفقهية والفكرية في مرباط قبل القرن السادس ينقصها الكثير من المصادر والمراجع وإن كانت الإشارات التاريخية تدل على كون أهل ظفار شافعية قبل قدوم الإمامين الجليلين إليها وهما محمد بن علي باعلوي ومحمد بن علي القلعي، ويؤكد ذلك أمران اثنان: الأول اختيار محمد بن علي باعلوي لها ليتديرها في آخر عمره وهو الوجيه الشافعي المعروف الذي كانت له الشهرة الواسعة في كل من ظفار وحضرموت وكان يخفر القوافل ويربعها من حضرموت إلى ظفار، كما كانت له علاقات حسنة فيما يظهر مع كل من سلاطين الدولة المنجوية في ظفار

١ - عقود الألماس - علوي بن طاهر الحداد - مطبعة المدني - ج ٢، ص ١٠٣

٢ - موسوعة مرباط، بحث مخطوط للباحث سعيد بن خالد العمري.

٣ - الدلائل والأخبار في خصائص ظفار - عبدالله بن جعفر الكثيري -مخطوط لدى الباحث ص ١

والراشدية في حضرموت، الأمر الذي يدل على كون الدولة المنجوية دولة شافعية رحبت به عند قدومه وعملت على التمكين له ليعمل على نشر العلم وتعليم الناس.

والأمر الآخر هو احتفاء السلطان الأكحل المنجوي ومعلم أولاده يحيى بن أبي نصير قاضي مرباط بالإمام الفقيه القلعي عندما قدم إلى ظفار وطلبهم منه البقاء وإلحاحهم في ذلك ليستفيد منه الناس وهو يدل كذلك على شافعية السلطان والرعية قبل قدوم القلعي إليهم، وإلا كيف يطلبون من فقيه مغاير لهم في المذهب الفقهي أن يبقى عندهم ويكون إماما لهم وهو ما سنعرض له بالتفصيل في ترجمتنا لهذين العالمين في هذا البحث.

أما عن وجود المذهب الإباضي في مرباط وظفار وحضرموت بشكل عام، فمن المفهوم من سياق الأحداث التاريخية أنه قد انحسر مده وقل معتنقوه وبدأ يختفي تدريجيا من ظفار وحضرموت وعموم اليمن منذ الإطاحة بطالب الحق الكندي على يد بني أمية [1]، حتى اختفى تماما في عهد بني زياد والصليحيين من بعدهم في نهاية القرن السابع [2].

١ - انظر في ذلك بحث قيم عن موجز تاريخ حضرموت (الإباضية) في موقع (منتديات المجرة) لكاتب رمز لنفسه بأسد البوادي منتدى الفكر والدعوة

٢ - انظر في ذلك تاريخ حضرموت للحامد في حديثه عن المذهب الإباضي في حضرموت ج ١ ص ٢٦١ - ٢٧٢، وكذلك بعض المقالات الالكترونية منها (محاضرة ملخصة للباحث عمر بن حامد الجيلاني عن الشوافع في حضرموت) في موقع الحارة العمانية -حارة المسجد، وكذلك المرجع السابق رقم ١٥

المطلب الثاني: الحياة العلمية في مرباط في القرنين الخامس والسادس الهجريين

مما ذكرناه في بحثنا (الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط)[1] أن القرنين الخامس والسادس الهجريين شهدا في مرباط حركة علمية وفكرية غير مسبوقة ولا ملحوقة إلى وقتنا هذا، وتتمثل تلك الحركة في قدوم عالمين جليلين إلى مرباط ليتديراها ويقيما فيها إلى وفاتهما وهذا العالمان هما اللذان أشرنا إليهما سابقا وهما محمد بن علي باعلوي المعروف بصاحب مرباط ومحمد بن علي القلعي رحمهما الله وهما من علماء القرن السادس الهجري فقد توفي الأول سنة ٥٥١هـ على الأرجح[2] والثاني سنة ٥٧٧هـ على الأرجح كذلك، وتطرقنا إلى الحياة العلمية قبلهما، أي في القرن الخامس الهجري، كاشفين أنه ورغم شح المصادر في هذا السياق إلا أننا وجدنا بعض الإشارات الخفيفة عند بعض المؤرخين عن بعض الفقهاء السابقين لهذين العالمين فمن ذلك ما ذكره لنا المؤرخ الحضرمي ابن جندان في مخطوطه (الدر والياقوت في معرفة بيوتات المهجر وحضرموت) فقد ذكر لنا هذا المؤرخ ثلاثة علماء من أعلام القرن الخامس الهجري.

أما الأول فهو أبوبكر بن موسى بن أحمد باعمار، ذكره ابن جندان فقال

١ - الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط.ص٦و٧

٢ - يذكر صاحب الدلائل والأخبار أن الإمام القلعي هاجر من بلده زبيد هربا من بطش علي بن مهدي الذي اجتاح المدينة سنة ٥٥٤هـ، أي انه دخل مرباط في هذا التاريخ أو قريبا منه، ومن المتواتر أن القلعي لم يلتق بصاحب مرباط، المتوفى في إحدى الروايتين سنة ٥٥٦، وعلى هذا فمن المرجح أن صاحب مرباط قد توفي قبل قدوم القلعي إليها أي سنة ٥٥١، وهذا يؤكده استمساك الأكحل بالقلعي وقوله له إنه لا يوجد لديهم عالم، ويؤكده أيضا أن القلعي لم يلتق بصاحب مرباط كما ذكرنا.

"الفقيه القاضي أبوبكر بن موسى بن أحمد بن موسى.. باعمار المتوفى بظفار سنة ٤٨٣ هجرية، كان من رجال العلم بظفار رحل إلى تريم وأخذ فيها عن أعيانها وحج وزار[١]...".

والعالم الثاني الذي ذكره ابن جندان هو عبدالله بن صلاح مرتع الكندي ذكره في حديثه عن آل مرتع فقال: "واشتهر منهم بالعلم شرذمة ظهروا في القرن الخامس الهجري كالفقيه عبدالله بن صلاح مرتع الكندي المتوفى سنة ٤٨٣ هجرية قاضي ظفار ..."[٢]

أما العالم الثالث فهو الفقيه علي بن أحمد باعوافي، كان عالما صالحا، تولى القضاء بمرباط في القرن الخامس الهجري في دولة آل منجوه، ثم انتقل إلى تريم بحضرموت وتوفي بها و قد ذكره ابن جندان في حديثه عن آل باعوافي فقال: "الفقيه علي بن أحمد بن محمد... باعوافي الحاشدي الكندي المتوفى سنة ٥٠٩ هجرية، كان عالما صالحا ولي القضاء ببندر المرباط وكان من الفقهاء البارزين في دوائر الفقه والقضاء ثم تحول إلى مدينة الوهط واستوطن بها"[٣]

هؤلاء العلماء الثلاثة الذين ذكرهم ابن جندان في مخطوطه لم يفصح عن اتجاهاتهم الفقهية والعلمية، إلا أن العلم والفقه لم يتوطد وينتشر في مرباط وظفار إلا عندما ظهر فيها من استطاع أن يوطد له في أوائل القرن السادس الهجري وهما ذانكما العالمان اللذان ذكرناهما سابقا، وهنا سنضطر مرة

١ - الدر والياقوت في معرفة بيوتات المهجر وحضرموت، ابن جندان، مخطوط، ج٢، ورقة ١٦٦
٢ - نفسه، ج ٢، ورقة ٢٢٣
٣ - الدر والياقوت، مرجع سابق، جـ ٢، ورقة ٢٦٣

أخرى إلى إعادة كثير مما ذكرناه في بحثنا (الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط) خاصة فيما يتعلق بالإمام محمد بن علي صاحب مرباط وتلاميذه ودوره في مرباط وعلاقته بالإمام القلعي - إن كانت هناك من علاقة - لتتضح صورة الجو العلمي قبل الإمام القلعي مباشرة، حيث إن بين وفاة الرجلين ٢١ عاما فقط فقد توفي الأول سنة ٥٥١هـ على الأرجح والثاني سنة ٥٧٧هـ على الأرجح فمن هو إذن صاحب مرباط؟

المطلب الثالث: الإمام محمد بن علي باعلوي صاحب مرباط ودوره قبل القلعي:

هو الإمام محمد بن علي بن علوي باعلوي الملقب بصاحب مرباط المتوفى سنة خمسمائة وواحد وخمسين أو ست وخمسين (٥٥١ أو ٥٥٦ هـ)، على خلاف في ذلك، ترجم له صالح الحامد قائلا: [١] "هو الإمام الكبير والعلم الخطير محمد بن علي المعروف بخالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.... نشأ نشأة علمية دينية فحفظ القرآن العظيم وربي تربية أخلاقية في حجر والده الإمام علي بن علوي خالع قسم، ولم يزل يترقى في مدارج العلوم والمعارف حتى علا ذكره واشتهر أمره، أولاده الأربعة علوي والحافظ المحدث عبدالله والشيخ أحمد والولي فتخرج به جماعة كثيرون لاسيما من السادة العلويين من جملتهم علي، وقصده طلاب العلوم ورواد المعارف من

١ - تاريخ حضرموت، صالح الحامد ج ١ ص

كل صقع من نواحي حضرموت والشحر، ثم فيما بعد من نواحي ظفار، منهم[1] شيخ الإسلام سالم بن فضل والشيخ علي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد بن محمد باعيسى والشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب صاحب الوعل، والشيخ محمد بن علي تاج العارفين المشهور بسعد الدين والإمام علي بن عبدالله الظفاريان، وسوى هؤلاء ممن يطول تعدادهم..وكان كثير الأسفار إلى شتى النواحي، ويلقى حيثما توجه من الناس كل تجلة وإكرام فكان في أول أمره يربع القوافل (أي يخفرها) من بيت جبير إلى ظفار، إذ كانت بيت جبير حينئذ محطا للقوافل تأتيها من جهة اليمن.. وكان ذلك أول صلته بصقع ظفار... ثم إنه تحول في آخر عمره إلى مرباط بناحية ظفار فألقى بها عصا الإقامة وهناك لقي من الحفاوة والإجلال من أهلها ما هو أهله، وازداد صيته شيوعا وذكره ذيوعا، إذ اشتهر بالعلم والإحسان فصار كعبة للقصاد يقصده العافون لبره وإحسانه، والطالبون لعلمه وعرفانه، ولم يزل كذلك حتى توفي سنة ٥٥٦ إحدى أو ست وخمسين وخمسمائة.. وقبره معروف بمرباط يزار وعليه قبة"

المطلب الرابع: تلاميذ محمد بن علي صاحب مرباط

عن أبرز تلاميذ هذين العالمين يذكر لنا الحامد عددا من تلاميذ الإمام محمد بن علي باعلوي صاحب مرباط وقد مر ذكرهم في ترجمته التي نقلناها عنه، إلا أننا نعيد ذكرهم هنا وفقا لرواية الحامد وذلك للإشارة إلى تشكيك عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف في أخذ بعضهم عنه على نحو ما سيمر

١ - سنرى فيما بعد أن ابن عبيدالله السقاف في إدام القوت يشكك في كون بعض من هؤلاء تلاميذ لصاحب مرباط.

معنا هاهنا وهؤلاء التلاميذ هم:

١ - أولاده الأربعة علوي وعبدالله وأحمد وعلي

وقد أخذ عبدالله بن محمد بن علي عن الإمام القلعي كذلك كما سيمر معنا في تلاميذ القلعي

٥ - الشيخ محمد بن علي تاج العارفين المشهور بسعد الدين الظفاري

٦ - الإمام علي بن عبدالله الظفاري. وهذان قال عنهما ابن عبيد الله "فإنه لم يذكر في البرقة إلا أخذ الشيخ سعيد (الأصح سعد) الظفاري وابن أخيه الشيخ علي بن عبدالله بن علي، وهذا هو القريب لقوة المناصرة وكثرة المعاصرة وقرب المجاورة..[1].

٧ - الفقيه محمد بن إسحاق بلجول التجيبي ذكره ابن جندان فقال: "الفقيه محمد بن إسحاق بلجول التجيبي، صحب الإمام محمد بن علي صاحب مرباط وكان يتردد عليه وقرأ فيها (أي مرباط) على الفقيه عبدالجبار بن محمد منجوه الظفاري وغيره" [2]

٨- الفقيه معروف بن أسلم بن الحسن بن ثعلب بن منظور الكندي، من أهل مرباط في القرن السادس الهجري، تولى القضاء بمرباط على عهد الدولة المنجوية، وتوفي سنة ٥٦٧هـ، ذكره ابن جندان في الدر والياقوت فقال: "آل منظور من بني معاوية الأكرمين من كندة منهم الفقيه معروف بن أسلم بن الحسن من سكان مرباط بظفار صحب الإمام جمال الدين محمد

١ - إدام القوت ص ٨٧٨

٢ - الدر والياقوت في معرفة بيوتات المهجر وحضرموت، ابن جندان، مخطوط، جـ ٣، ورقة ٢٧٣

بن علي صاحب مرباط وعنه أخذ وتولى القضاء ثلاث مرات في عهد دولة آل منجوه ثم سار إلى حضرموت وتوفي سنة ٥٦٧ بوادي عمد"[1]

وممن ذكرهم الحامد ضمن تلاميذ محمد بن علي صاحب مرباط شيخ الإسلام سالم بن فضل بافضل، وقد شكك ابن عبيدالله السقاف في إدام القوت في كونه ممن اخذ عن محمد بن علي صاحب مرباط فقال بعد أن نقل عن صاحب المشرع أن سالم بافضل وعلي بن أحمد بامروان وأحمد بن محمد باعيسى والشيخ علي بن محمد الخطيب أخذوا عن محمد بن علي باعلوي: "وفي أخذهم عنه شيء من البعد: أما الشيخ سالم فلغيبته لطلب العلم ثم لم يعد إلى تريم إلا وصاحب مرباط بعيد عنها.."[2]

وكذلك الشيخ علي بن أحمد بامروان، وقد شكك ابن عبيدالله السقاف في إدام القوت في كونه ممن اخذ عن محمد بن علي صاحب مرباط كذلك فقال: "أما بامروان فالفرق بينه ووفاة صاحب مرباط تسعة وستون عاما وبينهما وبين وفاة باعيسى اثنتان وسبعون سنة لأن وفاته سنة ٦٢٨هـ، وأبعد ما يكون بينه وبين الخطيب إذ البون شاسع جدا يقرب من ستٍّ وثمانين سنة مع تباعد الديار"[3]، وقد ذكر شنبل أن ولادة علي بن أحمد بامروان كانت سنة ٥٥١ هـ أي في السنة التي توفي فيها صاحب مرباط، فكيف يمكن أن يكون قد أخذ عنه ؟!!

وكذلك القاضي أحمد بن محمد باعيسى، وقد شكك ابن عبيدالله في

١ - الدر والياقوت في معرفة بيوتات المهجر وحضرموت، ابن جندان، مخطوط، جـ ٣، ورقة ٨٥
٢ - إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ابن عبيدالله السقاف ص٨٧٧
٣ - إدام القوت ص ٨٧٧

أخذه عن صاحب مرباط أيضا، وذلك لفارق الوفاة بين الرجلين والتي تقرب من اثنتين وسبعين سنة [1]

وأيضا الشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب صاحب الوعل، وهو ممن شكك ابن عبيد الله في أخذه عن صاحب مرباط كذلك لأن الفرق بين وفاة الرجلين شاسع جدا يقرب من ست وثمانين سنة مع تباعد الديار كما قال.[2]

والصواب أن علي بن أحمد بامروان وأحمد بن محمد باعيسى هما من تلاميذ الإمام القلعي كما سنرى ذلك في هذا البحث.

١ - انظر الفقرة السابقة في الحديث عن بامروان

٢ - انظر الفقرة السابقة في الحديث عن بامروان

الفصل الثاني: الإمام القلعي حياته ومآثره ودوره في مرباط

المطلب الأول: اسمه ولقبه ونسبته:

هو الشيخ الإمام وعلامة الأنام، ومفيد الأئمة الأعلام، صاحب التصنيفات النافعات، والفتاوى الجامعات، مفتي مرباط وقاضيها، وشيخ الشافعية الذي انتشر به المذهب في حضرموت ونواحيها [١] أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي.

ويذهب صاحب (رسالة الدلائل والأخبار في خصائص ظفار)[٢] إلى أن القلعي ولد في مصر دون أن يسند ذلك الرأي، وأن أصله من المغرب ولم تذكر ولادته تحديدا، ويرى الأستاذ أكرم عصبان أنه ولد في العقد الثامن من القرن الخامس تقريبا[٣]، وإذا كان الأستاذ أكرم عصبان يرى في موضع آخر من كتابه (جهود الإمام القلعي العلمية)[٤] أن القلعي قدر عمر حتى ناهز التسعين من عمره، وكانت وفاته على الأرجح في عام ٥٧٧ هـ، فهذا يعني أنه قد ولد في نحو سنة ٤٨٧ هـ، أي في العقد الثامن من القرن الخامس الهجري

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص١١

٢ - عبدالله بن جعفر الكثيري

٣ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص١١

٤ - نفسه، ص ٧٣

كما يقول. أي قبل قيام الدولة المنجوية بنحو ثماني سنوات فمن المعلوم أن الدولة المنجوية قامت في نحو ٤٨٠ هـ كما تشير المصادر التاريخية.

ثم يذكر عصبان اختلاف الرواة ومترجمي القلعي في نسبته وأن أصل هذا الخلاف يرجع إلى القلعة المنسوب إليها القلعي وهل هي القلعة بفتحتين وهي بلدة بالمغرب أو هي قلعة بسكون اللام وهي بلدة بالشام، أو هي قلعة باليمن أو هي قلعة ريسوت..مستبعدا الرأيين الأخيرين ومترددا في القولين الأولبين [١]، ونحن هنا نؤيد رأي الأستاذ عصبان في أن القلعي نسبة إما إلى حلب بالشام أو المغرب..

المطلب الثاني: شيوخه:

- أبو الفتوح عبدالله بن محمد بن علي بن أبي عقامة:

لا تذكر لنا المصادر التي ترجمت للإمام القلعي شيئا عن شيوخه سوى ما أشار إليه الشيخ عبدالله بن جعفر الكثيري في رسالته (الدلائل والأخبار) نقلا عن باطحن أنه "قرأ العلم على يد أبي عقامة" بزبيد دون أن يذكر من هو أبو عقامة، وفي تتبع لهذا الخبر يرى الأستاذ أكرم عصبان في كتابه (جهود الإمام القلعي العلمية) أن أبا عقامة هذا هو أبو الفتوح عبدالله بن محمد بن علي بن أبي عقامة ناقلا عن الأسنوي في ترجمة أبي عقامة قوله: "إن المذكور -أي الإمام القلعي - أخذ عن ولد ولده عن أبيه عن جده، ويعني بولد ولده أبا الفتوح عبدالله بن محمد بن علي بن أبي عقامة صاحب كتاب (الخناثى) والذي تفقه على يد جده أبي الحسن علي، وعلى أبي الغنائم، وكان

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرك عصبان، ص ١٢ و١٣

واحد عصره قياما بالعلم، أكثر صاحب البيان عنه النقل، ونقل عنه الرافعي والنووي، توفي سنة ٥٥٠هـ"[١]

- شيخ الإسلام سالم بن فضل بافضل:

ينقل الأستاذ سالم مفلح في كتابه (حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة العاشر والسابع عشر للميلاد) نقلا عن الشاطري في (أدوار التاريخ الحضرمي) أن الإمام القلعي تتلمذ على يد شيخ الإسلام سالم بن فضل بافضل.. ويرى الأستاذ سالم مفلح أن مما يؤيد هذا الرأي تلك القصيدة التي قالها الإمام القلعي مدحا في الشيخ بافضل [٢].

والشيخ سالم بتفضل كما وردت ترجمته في تاريخ حضرموت لصالح الحامد ونورها مختصرة "هو الشيخ العلامة سالم بن فضل بن عبدالكريم بن محمد، وإلى هنا ينتهي نسب آل أبي فضل وينتمون إلى قحطان.... والإمام سالم بن فضل هذا إمام عظيم جليل القدر، وقد سماه الشبلي شيخ الإسلام... اشتهر بالعلم والصلاح وإليه يرجع شهرة آل أبي فضل.." [٣] ثم ينقل الحامد عن صاحب (الجوهر الشفاف) "أنه سافر في طلب العلم ومكث أربعين سنة في العراق وغيره كل ذلك في طلب العلم وأهله يظنون أنه قد مات، ثم بعد ذلك رأى بعض السادات في المنام كأن الإمام سالما المذكور أتى إلى بلده ومعه جمال محملات ذهبا، فوصل ومعه جمال محملات كتب العلم من الحديث والفقه وغيرها..."[٤]

---

١ - نفسه ص ١٣

٢ - حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة العاشر والسابع عشر للميلاد، مفلح ص١٥٧

٣ - تاريخ حضرموت، صالح الحامد، ج٢/ ٤٧٢و٤٧٣ باختصار

٤ - نفسه ص ٤٧٣

والحقيقة كون الإمام سالم بافضل من شيوخ الإمام القلعي فيه نظر، ومدح الإمام القلعي له لا يعنى بالضرورة أنه من تلاميذه.. بل ربما العكس هو الصحيح فوفاة الإمام بافضل متأخرة عن وفاة القلعي بنحو أربع سنوات، لكن الأستاذ أكرم عصبان يشير إلى كونه من أقرانه في مدرسة الفقهاء بحضرموت حين قال "كان بحضرموت في تلك الفترة مدرسة الفقهاء القراء التي تبوأ مقعدها الشيخ المفسر سالم بافضل والشيخ الفقيه يحيى بن سالم أكدر والشيخ المحدث أحمد بن النعمان الهجراني..." [١].

وفي موضع آخر يشير إلى الرحلة التي ذكرها صاحب الجوهر الشفاف قائلا: " وأنا في ريب مما ذكره من شأن رحلة الشيخ سالم إلى العراق التي مكث فيها أربعين سنة، ولا يبعد عندي أن تكون تلك الرحلة إنما كانت إلى مرباط حيث الإمام القلعي وعلى هذا فيعد من تلاميذه والجزم بذلك يحتاج إلى مزيد تأمل وإن كانت القصيدة توحي بشيء منه" [٢]

المطلب الثالث: شهرته وأبرز من ترجم له:

ترجم للإمام أبي عبدالله محمد بن علي القلعي العديد من العلماء مثل:

- ابن سمرة الجعدي في طبقات فقهاء اليمن (ص ٢٢٠)
- والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١٦٤/٦)
- وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية
- والجندي في السلوك في طبقات العلماء والملوك

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرك عصبان، ص٣٩

٢ - نفسه ص ٧٠، الحاشية

- والخزرجي في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، وكذلك في طراز الأعلام

- والزركلي في الأعلام

- وياقوت الحموي في معجم البلدان [1]

- والأسنوي في طبقات الشافعية ص ٢ - ١٦٤.

ومن أبرز من ترجم له الجندي في كتابه "السلوك في طبقات العلماء والملوك": "قيل بفتح القاف وسكون اللام نسبة إلى قلعة حلب المدينة المعروفة بالشام وقيل بفتحهما نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب وقيل غير ذلك، كان فقيها كبيرا لم يبدأ ابن سمرة في الفصل الأخير بعده إلا به، أثنى عليه وله مصنفات عدة انتفع الناس بها، منها قواعد المهذب ومنها مستعرب ألفاظه (الصواب مستغرب ألفاظه)، ومنها إيضاح الغوامض من علم الفرائض مجلدان جيدان وله احتراز المهذب الذي شهد له أعيان الفقهاء أنه لم يصنف له نظير وله لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأخيار، وله كنز الحفاظ في غريب الألفاظ أعني ألفاظ المهذب وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة، وله كتاب أحكام القضاة (الصواب أحكام العصاة) مختصر ويقال إن مؤلفاته أكثر مما ذكرت وهي توجد بظفار وحضرموت ونواحيهما، وعنه انتشر الفقه بتلك الجهة") [2].

---

١ - نفسه ص ١١ الحاشية

٢ - السلوك، الجندي، ج١/ ٤٥٤

المطلب الرابع: مؤلفاته:

نورد ها هنا باختصار أهم كتبه، حيث سيتناولها بالبحث المفصل الدكتور أحمد بلخير في بحثه، وأهم كتب القلعي هي:

"١ - كتب اعتنى فيها بكتاب المهذب في الفقه الشافعي وهي

- المستغرب في ألفاظ المهذب.. ويوجد لدى الباحث نسخة مخطوطة منه.. وليس مفقودا كما ورد عند بعض الباحثين

- كنز الحفاظ في غريب الألفاظ

٢ - أحاديث المهذب: وقد يطلق عليه شواهد المهذب.

٣ - احترازات المهذب

٤ - قواعد المهذب وهو من أهم كتبه

٥ - لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأخيار

٦ - إيضاح الغوامض من علم الفرائض.... ويوجد لدى الباحث نسخة مخطوطة منه.. وليس مفقودا كما ورد عند بعض الباحثين

٧ - تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة... مطبوع

٨ - أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر

٩ - أحكام القضاء (يبدو أنه أحكام العصاة نفسه مصحفا)

١٠- مجموع الفتاوى: صرح به الفقيه الأزرق في (النفائس) حين قال: "وفي فتاوى القلعي...."[1]

---

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص ٤٧ - ٦٥ باختصار وتصرف.

المطلب الخامس: قصة قدومه إلى مرباط وشهرته بها وبحضرموت ونواحيهما:

يذكر الجندي قصة قدومه إلى مرباط وسكناه بها قائلا:[1] "وأخبرني شيخ قديم من أهل تلك الناحية وأهل الفقه بها قال: سمعت قدماء بلادنا يذكرون أن هذا الفقيه قدم عليهم من الحج إلى مرباط في مركب فأرسوا... ودخلوا البندر ليشتروا ويبيعوا.. وكان في البلد قاض ذو فقه قليل والوارد إلى تلك الناحية من الفقهاء قليل.... فبلغ القاضي أنه وصل في المركب رجل من أكابر العلماء فبحث عن ذلك وتحققه فحين ثبت عنده خرج بجماعة من البلد وتجارها وكان قد ضرب للقلعي خيمة خارج البحر نزل ليستريح بها من ضنك المركب فقصده القاضي ومعه التجار واستأذنوا حين صاروا ببابها فأدخلوا عليه فرحب بهم وآنسهم فسأله القاضي عن عدة مسائل فأجابه عنها بأبين جواب وأقرب صواب بعبارات مرضية، فأعجب القاضي ومن معه بعلمه وحسن خلقه وسأله أن يقف معهم بشرط ألا يتركوه يحتاج لشيء، فقال: أريد بلدي فلم أخرج منها على هذا العزم، وظن أن ذلك منهم على سبيل التجمل فلم يجزموا على كثرة ملازمته وعادوا البلد وسلطانها يومئذ المعروف بالأكحل فوصل القاضي إليه وأعيان من خرج معه وأخبروه بقدوم الفقيه وأنه عالم كبير وأنهم مضطرون إلى مثله ينتفع الناس به ويتفقهون عليه، قال: وما الغرض؟ قالوا: تخرج إليه بنفسك وتلازمه بالوقوف فلعله يقبل منك، فأجابهم إلى ذلك وخرج بموكبه حتى أتى خيمة الفقيه وسلم عليه والتزمه في الوقوف معه وشرط له على ذلك أن يفعل له ما أحب فاستحى الفقيه وأجاب إلى ذلك

١ - المرجع السابق نفسه ص ٤٥٤ و ٤٥٥

فحمل قماش الفقيه من الفور من المركب إلى البلد وأنزل في دار لائق به، ثم أقبل على التدريس ونشر العلم فتسامع الناس به إلى حضرموت ونواحيها فقصدوه وأخذوا عنه الفقه وغيره بحيث لم ينتشر العلم عن أحد بتلك الناحية كما انتشر عنه وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه"

وإلى هذي القصة بتفاصيل أخرى يشير الشيخ عبدالله بن جعفر الكثيري في رسالته الدلائل والأخبار نقلا عن محمد بن علي باطحن حيث يقول في حديثه عن فتنة ابن مهدي في اليمن [1] " وهمّ - أي ابن مهدي - بالفقهاء فهربوا في البلاد فخرج الإمام محمد بن علي القلعي إلى عدن وركب البحر يريد بغداد فلما وصل إلى ظفار بمرباط نزل الفقيه إلى الساحل يستريح وكان السلطان محمد بن منجوي وهو يومئذٍ والي ظفار وله معلم يعلم أولاده يقال له ابن نصير وكان رجلا صالحا، فمر يوما يتمشى على ساحل البحر فصادف الفقيه وقعد عنده وباحثه في العلم، فوجده كالبحر الزاخر فسارع إلى السلطان محمد بن أحمد ابن منجوي وقال: ألك حاجة إلى العلم في بلادك فقال فكيف لي بذلك؟ قال أدرك الفقيه قبل أن يسافر، فقام إليه السلطان بنفسه وآلى إليه وقال: يا فقيه قد صار لي حق عليك إذ صرت في ولايتنا فقال نعم قال تفضل علينا بجلوسك عندنا، قال: يا مولاي ما خرجت من زبيد إلا لأكون تحت حماية الخلافة في بغداد، قال: في بغداد من يكفيهم وأنت نصيبنا، قال أريد بغداد، قال يا فقيه أما من تستفيد منه فما عندنا و لك عندنا من الكتب كثير، أمكّنك من الخزائن، قال السمع والطاعة لله ولرسوله و

١ - الدلائل والأخبار في خصائص ظفار، مخطوط ص٢

لك، فأعطاه البيت ومؤونة، فاشتهر به مذهب الشافعي رضي الله عنه وصارت البلاد كلها مذهبا واحدا وعقيدة واحدة، انتهى من كلام الشيخ باطحن".

ونرى من رواية الكثيري أن الذي أخرج القلعي من زبيد هو فتنة ابن مهدي التي لم يفصلها.. ويتحدث أكرم عصبان عن هذه الفتنة في كتابه (جهود الإمام القلعي العلمية) قائلا: "لقد هاجت فتنة بزبيد أثارها علي بن مهدي الرعيني، كان فيها من المسرفين ومن الظالمين الذين عاثوا في الأرض فسادا، وكان من أمره أنه كان يظهر التنسك والدين و يتمذهب بمذهب أبي حنيفة في الفروع، ويكفر بالمعاصي، ويقتل بها من خالف اعتقاده "[1]...إلى أن قال: "وتحت وطأة هذه الفتنة خرج الإمام القلعي من زبيد خائفا بعد ما شاهد فصولها المؤلمة وقصد بغداد دار الخلافة لينعم بالأمان يحدوه الأثر الصحيح في مثل هذه الفتن (من وجد ملجأ فليعذ به)"[2]، ثم يذكر الأستاذ عصبان من قتل ومن فر من هذه الفتنة من العلماء من أهل زبيد [3].

وبتحليل تلك الروايات في قدوم الإمام القلعي إلى مرباط يمكننا أن نقف على النقاط المهمة التالية:

أولا: الفراغ العلمي الكبير في مرباط قبل القلعي، رغم وجود مجموعة من الفقهاء والعلماء بها من أمثال الشيخ المعلم يحيى بن نصير الذي التقى بالقلعي وطلب من السلطان أن يطلب إليه البقاء، وغيره من العلماء الذين

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص ٢٠

٢ - نفسه

٣ - نفسه

سبقت الإشارة إليهم.. إلا أن أحدا منهم لم يكن ليملأ الفراغ العلمي الذي ملأه القلعي رحمه الله؟

ثانيا: تواضع الشيخ المعلم يحيى ابن نصير للقلعي وعدم حسده له كما هو الحال بين الأقران.. بل وإلحاحه على السلطان لبقاء القلعي في مرباط وبعد ذلك طلبه العلم على يديه. وهو ما أشار إليه الجندي كذلك.

ثالثا: تواضع السلطان الأكحل المنجوي للإمام القلعي وذهابه إليه بنفسه،هو الأمر الذي أشار إليه وأشاد به صاحب الدلائل وصاحب السلوك وغيرهما ممن ترجم للقلعي.. وهذه الأخلاق وذلك الكرم الذي عرف به المنجوي هو الذي شجع وأغرى الإمام القلعي بالبقاء في مرباط بعد أن كان عابر سبيل إلى بغداد

ثالثا: وجود الكتب العلمية الكثيرة في خزانة السلطان المنجوي وقد مكن القلعي منها.

رابعا: شهرة القلعي بعد ذلك في مرباط وظفار وحضرموت وتوافد طلبة العلم عليه من كل هذه الأقطار ومن غيرها.. وهو ما أشارت إليه هاتان الروايتان وأكدتاه.. وفي هذا السياق يقول أكرم عصبان بعد أن ذكر أعلام المدرسة الفقهية بحضرموت: "ولما سمعوا به وحاز إعجابهم زفوا للقياه خافضين له الجناح، واعترفوا له بالفضل عليهم واحتفوا بقدومه بالقرب منهم، ونال الحظوة منهم، إذ إن استقراره بمرباط يشكل دعامة لتعاليم تلك المدرسة، لتزداد أصولها رسوخا، ولتنمو فروعها شموخا"[1] وفي موضع

١ - حياة الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص ٣٩

آخر يقول: "بما أن تعاليم مدرسة الفقهاء بحضرموت وما عليه الإمام القلعي يخرجان من مشكاة واحدة فقد دفع كثير من الطلبة إلى مرباط، واستعاضوا الرحلة إليها بدلا من الرحلة إلى زبيد، وذلك لقرب المرجعية المتمثلة في القلعي، فهاجر الفقيه علي بن أحمد بامروان والفقيه إبراهيم باماجد وغيرهما من تريم إلى القلعي"[1]

المبحث السادس: بين القلعي وصاحب مرباط في إدخال ونشر المذهب الشافعي في ظفار

رأينا في ترجمة العالمين الإمام محمد بن علي باعلوي ومحمد بن علي القلعي أن مترجميهم ينسبون إلى كل منهما الفضل في نشر العلم والفقه في هذه الجهة.. وعلى ذلك كان وما زال هناك خلاف بين المؤرخين فيمن كان له الفضل الأول والأوفر في (إدخال ونشر) المذهب الشافعي على وجه التحديد إلى ظفار، ففي كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك [2] وكذلك في رسالة الدلائل والأخبار[3] والعقود اللؤلؤية للخزرجي[4] وغيرها من المراجع نجد أن الذي نشر المذهب الشافعي في ظفار هو الإمام محمد بن علي القلعي، وعبارة الخزرجي كما ينقل عن الجندي بعد أن ساق عددا من مصنفاته: "وله غير ذلك، وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها، وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر

١ - نفسه، ص٤١
٢ - ج١ - ص ٤٥٤
٣ - المخطوط - ص ٢
٤ - ج١ - ص ٥١

عنه، وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه"[1]، أما عبارة صاحب الدلائل فتقول: "فانتشر به مذهب الشافعي رضي الله عنه، وصارت البلاد كلها مذهبا واحدا وعقيدة واحدة"[2].

إلا أن علوي بن طاهر الحداد صاحب (عقود الألماس) يناقش هذه القضية بتوسع ليخلص إلى رفض الرأي المنقول عن محمد بن علي باطحن في (الدلائل) والقائل إن أول من نشر المذهب الشافعي إلى ظفار هو الإمام محمد بن علي القلعي، ويرى أن الأسبقية في ذلك والفضل الأول لمحمد بن علي بن علوي باعلوي مستدلا على ذلك بجملة كثيرة من الأدلة النقلية والعقلية كما يرى[3].

ومهما يكن من أمر فإن الرأي الذي يُمكن أن يُطمئن إليه ويجمع بين القولين والرأيين هو أن المذهب الشافعي كان موجودا في ظفار قبل هذين العالمين مستأنسين لهذا الرأي بالأدلة التالية: الأول: اختيار الإمام محمد بن علي باعلوي لها ليتديرها آخر عمر لملاءمتها السياسية والمذهبية له. والثاني: احتفاء السلطان الأكحل وقاضيه أبي نصير وأهل مرباط بالإمام القلعي عندما قدم إليهم، والثالث: هو وجود أولئك العلماء الذين ذكرهم ابن جندان في القرن الخامس وآخرون ذكرهم علوي بن طاهر الحداد كانوا معاصرين للإمام محمد بن علي باعلوي مثل أبي نزار ربيعة بن الحسن الحضرمي المتوفى سنة ٦٠٧، والشيخ سعد بن علي الظفاري تاج العارفين، والفقيه علي

١ - نفسه ج١ - ص ٥١

٢ - الدلائل مخطوط ص ٢

٣ - انظر عقود الألماس ج٢ من ص ١٠١-١١٦

بن عبدالله الظفاري، فهؤلاء العلماء وغيرهم ممن كان معاصرا للإمام محمد بن علي باعلوي لا يتصور عقلا أنهم كانوا كلهم تلاميذ له وأنه الذي ادخل إليهم المذهب الشافعي، فإذا كان الأمر كذلك علمنا يقينا أن المذهب الشافعي كان قد وجد في ظفار في القرن الخامس إن لم يكن قبل ذلك وقبل قدوم ابن علي والقلعي إليها للأدلة التي سقناها، ولما ساقه ابن جندان عندما ذكر أحد معاصري الإمام ابن علي وهو عبد الجبار بن محمد المنجوي الذي ذكره في طبقاته في ترجمته للفقيه محمد بن إسحاق بلجول التجيبي فقال: "الفقيه محمد بن إسحاق بلجول التجيبي، صحب الإمام محمد بن علي صاحب مرباط وكان يتردد عليه وقرأ فيها (أي مرباط) على الفقيه عبد الجبار بن محمد منجوه الظفاري وغيره"[1] وقوله: "وغيره"، دليل على وجود ذلك الكم من الفقهاء في عصر الإمام محمد بن علي باعلوي، وقبل الإمام القلعي، إلا أن أحدا من أولئك العلماء الشافعية الذين سبقوا هذين العالمين لم يكتب له الشهرة والذيوع التي كتبت لهما، فقد اشتهر الأول بالوجاهة والرئاسة، واشتهر الآخر بالفقه والعلم، ومن هنا وقع الخلاف بين المتأخرين في أيهما كان له الفضل في (إدخال) المذهب الشافعي إلى ظفار، رغم وجود المذهب فيها قبلهما كما بينا، لذلك يمكننا القول بكثير من الاطمئنان أن المذهب الشافعي(انتشر) من مرباط إلى ظفار ونواحيها على يد محمد بن علي القلعي وهذا ما أشارت إليه جل المصادر القديمة المعاصرة للرجل، هذا في الوقت الذي لا نجد من المؤرخين الأقدمين على وجه التحديد من يشير إلى انتشار المذهب في مرباط وظفار على يد محمد بن علي باعلوي، ولعل ما يؤكد هذا

---

١ - الدر والياقوت في معرفة بيوتات المهجر وحضرموت، ابن جندان، مخطوط، جـ ٣، ورقة ٢٧٣.

الرأي ويدعمه بقوة هو ما خلفه لنا الإمام القلعي من مؤلفات فقهية اشتهرت وانتشرت في عصره وما بعده إلى يومنا هذا، فالرجل كما يقول المؤرخون "كان فقيها عالما كبيرا عاملا له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع بها الناس، منها قواعد المهذب،... ومنها إيضاح الغوامض في علم الفرائض مجلدان جيدان جمع فيه مذهب الشافعي وغيره وأورد فيه طرفا من الجبر والمقابلة والوصايا، وله احتراز المهذب، وله لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأخيار، وله كنز الحفاظ في غريب الألفاظ، يعني ألفاظ المهذب، وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة، وله كتاب أحكام القضاة (الصواب في أحكام العصاة) وله غير ذلك" [1]، ومما يؤكد شهرة هذا العالم الجليل أننا نجد العديد من العلماء السابقين ينقلون عنه بعضا من آرائه الفقهية مثل ابن حجر والسبكي والنووي - وقد ذكر الزركلي أن جزءا من (أحكام العصاة) موجود في دار الكتب بدمشق، وكما اخبرنا احد الباحثين عن وجود نسخة من (إيضاح الغوامض) في مكتبة جمعة الماجد في دبي وأما التي في تونس فقد حصلت بحمد الله على نسخة منها في سفرة لي إلى هناك.

هذا في حين لا نجد للإمام محمد بن علي باعلوي شيئا من المصنفات الفقهية التي تجعل الباحث يطمئن إلى القول بانتشار المذهب الشافعي على يديه في ظفار، كما لم يشر إلى ذلك أحد من المؤرخين الأقدمين المعاصرين له وللإمام القلعي أو من أتى بعدهما في القرون القريبة منهما، إلا أنه - أي الإمام ابن علي- وكما أشرنا سابقا أقدم سكنى في ظفار من الإمام القلعي حيث تحول إليها في آخر عمره "فألقى بها عصا الإقامة وهناك لقي

---

١ - العقود اللؤلؤية ج١ - ٥١.

من الحفاوة ما هو أهله، وازداد صيته شيوعا وذكره ذيوعا، إذ اشتهر بالعلم والإحسان فصار كعبة للقصاد يقصده العافون لبره وإحسانه والطالبون لعلمه وعرفانه، ولم يزل كذلك حتى توفي سنة ٥٥١" [١]. كما نلاحظ أن أغلب الكتب التي ترجمت للرجل تركز على جانب الوجاهة الاجتماعية والتصوف والكرم والذيوع والشهرة وقد كتب بنفس صوفي كما يرى بعض الباحثين، كما أن جلها إن لم تكن كلها لأحفاده من آل باعلوي – وحق لهم ذلك - ولا نجد فيها ترجمة علمية دقيقة لكتبه ومؤلفاته وفتاويه وغير ذلك مما يجعلنا نطمئن للقول بأنه الذي نشر المذهب الشافعي في ظفار

المطلب السابع: علمه و تلاميذه:

أقام الإمام القلعي في مرباط ناشرا العلم من خلال ثلاث مهمات عمل فيها وبذل فيها جهده ووقته وهي القضاء والفتيا والتدريس [٢] "أما القضاء فقد تقلده بعد العقد المبرم (بينه وبين المنجوي)، ووصف بأنه قاضي مرباط، وكان الإمام القلعي أحق به وأهله ولم يكن يصلح إلا له...، وأما الفتيا فهو يعد من المفتين في إطار المذهب الشافعي... وأما التدريس فقد تصدر القلعي له، وأقام للعلم سوقا، إذ لم يشغله عنه القضاء، فنشر مطوي العلوم، وبث ما غاب منها بأحسن تقرير، وأبين تحرير، حتى طار خبره في الآفاق فقصده الطلبة يهرعون وعلى حلقته يتزاحمون، طلبا للفوائد، فتخرج به من العلماء الأجلاء من انتشر عنهم العلم في ظفار وحضرموت وغيرها، قال الجندي في

١ - تاريخ حضرموت – صالح الحامد ج٢ ص ٤٦٧.

٢ - نفسه من ص ٣٤-٣٨.

الحديث عن أعلام ظفار:وكان أحدثها الحبوظي (أي بناها) لبضع وعشرين وستمائة، فغالب طبقتها أصحاب الإمام القلعي..."[1]

المطلب الثامن: تلاميذ الإمام القلعي:

أما عن أبرز تلاميذ الإمام القلعي فقد كان من أشهر هؤلاء وأبرزهم:

١ - الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى بن ضمعج السبتي من آل ضمعج يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل ضمعج بن أوس الحضرمي، أحد أبرز تلاميذ الإمام القلعي وأشهر أصحابه وهو الذي خلفه على مجلسه الفقهي في مرباط بعد وفاته، يقول الجندي "تفقه بالإمام القلعي وكان فقيها فاضلا مبارك التدريس وهو الذي لزم المجلس بعد القلعي"[2]

وآل السبتي أهل علم وفضل كما يذكر الجندي حيث قال: "ثم الشحر وأقدم من فيها يذكر بالفقه بيت السبتي، أصلهم من حضرموت وتديروا مرباطا ثم ظفار فأول من قدم منهم الشحر أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى السبتي بخفض السين المهملة وسكون الباء الموحدة ثم تاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت لا أدري نسبة إلى ماذا، وهو الفقيه المذكور في أصحاب الإمام القلعي فيما مضى يرجع نسبه إلى ضمعج بن أوس الصحابي، خرج أحمد من ظفار أخرجه السلطان أحمد بن محمد الحبوظي إذ ارتاب

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص ٣٤-٣٨.

٢ - السلوك، الجندي، ج ٢ ص ٤٥٥.

منه، وكان إذآك ضعيف الملك ولذلك خشي من الفقيه[1]، فخرج إلى ساحل حيريج، فسكنه مدة، ثم استدعاه صاحب الشحر عبدالرحمن بن إقبال الآتي ذكره فجعله حاكما بعد إبراهيم بن أبي شكيل الآتي ذكره، ولم يزل حاكما حتى توفي، بعد أن شرح التنبيه شرحا متسعا وكانت وفاته تقريبا لبضع وستين وستمائة"[2].

وخلاصة ما ذكره الجندي عن هذا الفقيه أنه كان في بداية أمره تلميذا للقلعي، ثم خلفه على مجلسه بعد وفاته، ثم إنه انتقل إلى ظفار (البليد الحالية) بعد أن اختطها الحبوظي وأمر أهل مرباط بالانتقال إليها، ثم ارتاب منه الحبوظي وأخرجه إلى الشحر.

٢ - ومن تلاميذ القلعي أيضا المحدث الإمام عبدالله بن الشيخ العارف بالله محمد بن علي صاحب مرباط، كان ممن أخذ العلم وتفقه على يد الإمام القلعي بمرباط، وقد سمع أبو القاسم محمد بن فارس بن ماضي من الإمام القلعي صحيح الترمذي بقراءة الشريف عبدالله بن محمد بن علي كما ذكر ذلك الحامد نقلا عن كتاب الغرر البهية ونصه: "قال صاحب الغرر رأيت نسب الإمام الحافظ المحدث عبدالله بن محمد صاحب مرباط في إجازة له من الإمام القلعي، وللإمام أبي القاسم بن فارس بن ماضي، مكتوبة في الجزء الأول من جامع الترمذي، وكان الشريف عبدالله يقرأ وابن ماضي يسمع بقراءته، وهذه صورة إجازة القلعي لهما (أجزت لهما جامع أبي عيسى الترمذي وغيره، وكتبه محمد بن علي القلعي وذلك سنة ٥٧٥خمس وسبعين

١ - كذا في الأصل ولعل الصواب "ولذلك خشي من الفقيه".
٢ - السلوك، ج ٢ ص ٤٥٨ و٤٥٩ .

وسبعمائة)"[1]، وتوفي الإمام المحدث عبدالله سنة ٥٩٢ هـ وليس له عقب كما ذكر ذلك صاحب المشرع الروي[2].

٣ - ومن أبرز تلاميذ الإمام القلعي أيضا الإمام أبو القاسم محمد بن فارس بن ماضي المار ذكره سابقا والذي أخذ عنه العلم ثم رجع إلى اليمن بعد أن أقام مدة بمرباط يتلقى العلم والفقه على يد الإمام القلعي وقد أجازه القلعي بصحيح الترمذي بقراءة الإمام عبدالله بن محمد بن علي صاحب مرباط كما سبق ذكره

٤ - ومن أولئك التلاميذ أيضا إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى باماجد أحد قضاة وأعلام القرن السادس الهجري في ظفار، عده الجندي في السلوك من أصحاب الإمام القلعي وأنه تولي القضاء في مرباط ثم ظفار قائلا: "ومنهم (أي من أصحاب الإمام القلعي) إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى بن فضل، لقب بأبي ماجد أصله من حضر موت كان حاكما (قاضيا) في مرباط واستمر على ذلك في ظفار وبها توفي.

٥ - ولعل من أشهر هؤلاء التلاميذ تاريخيا وإن لم يكن أنجبهم القاضي يحيى بن أبي نصير قاضي مرباط في زمن الأكحل المنجوي في القرن السادس الهجري وهو الذي التقى بالإمام القلعي وتعرف عليه وطلب من الأكحل استبقاءه في مرباط وكان معلما لأولاد المنجوي ثم تولى القضاء بمرباط حتى قدوم القلعي إليها، قال عنه صاحب الدلائل والأخبار: "وكان السلطان محمد بن منجوه والي ظفار وله معلم يعلم أولاده يقال له ابن نصير

---

١ - تاريخ حضرموت، الحامد،ج٢ ص ٤٦٧.

٢ - المشرع الروي نسخة pdf ج ٢ ص ٤٠٥.

وكان رجلا صالحا"[1]، وهو الذي عناه الجندي بقوله "وكان في البلد قاض ذو دين وفقه قليل" [2]، وقصته مع القلعي معروفة، وقد أثنى عليه الجندي وعلى السلطان الأكحل لحرصهما على استبقاء القلعي في مرباط قائلا: "لينظر فقهاء زماننا وحكامه كيف لم يداخل القاضي حسداً كما هو منظور في غالبهم أعني القضاة.. وكذلك السلطان لم يستكبر على أهل بلده ولا على الفقيه... فانظر كيف فعل للفقيه وخرج إليه.."[3] ولم تذكر لنا المصادر سنة ميلاده ووفاته.

٦ - أبو الحسن علي بن أحمد بامروان الحضرمي:

"طلب العلم بتريم ورحل إلى مرباط، واستفاد من القلعي أي استفادة، وتخرج به وخاصة في الأصول والقواعد والعلوم العقلية"[4]

٧- ناصر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن حاتم المصري:

"الفقيه المفتي، نزيل مكة، سمع منه (أي من القلعي) بمكة وحدث عنه...وكما حدث الفقيه ناصر بن عبدالله عن القلعي فقد أخذ عنه ألفاظ المهذب..."[5]

٨ - سعد الدين الظفاري:

١ - الدلائل والأخبار في خصائص ظفار، عبدالله بن جعفر الكثيري، ص ٨، تحقيق سعيد مسعود المعشني.

٢ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، البهاء الجندي ج اص ٤٥٤.

٣ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، البهاء الجندي ج ١ ص ٤٥٥.

٤ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص٦٦.

٥ - نفسه، ص٦٧.

محمد بن علي الملقب بتاج العارفين، حمل عن الإمام القلعي العلوم الشرعية..."[1]

المطلب التاسع: علماء يأخذون عن القلعي وكتبه

نقل كثير من الأئمة الأعلام عن القلعي ومن هؤلاء:

١ - الإمام النووي (ت٦٧٦ هـ) حيث ذكره في أربعة من كتبه هي:

- المجموع شرح المهذب وهو أكثرها.

- وتهذيب الأسماء واللغات.

- وتحرير التنبيه.

- ورسالة الأصول والضوابط.

٢ - الإمام محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ) في كتاب (الرياض النضرة في مناقب العشرة)"[2]

٣ - أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ) في فتاويه.

٤ - وابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ)في تحفة المحتاج في شرح المنهاج في فروع فقه الشافعي وكذلك في الفتاوى الفقهية الكبرى.

٥ - وزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ) في كتابه (أسنى المطالب في شرح روض الطالب)

---

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص ٦٩.

٢ - نفسه، ص ٩.

٦ - فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (ت٧٤٣ هـ) في كتاب (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق)

المطلب العاشر: هل كان القلعي معتزليا ؟ ! !

نورد في هذا المطلب ما ذهب إليه الأستاذ سالم فرج مفلح في كتابه (حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، العاشر والسابع عشر للميلاد) من كون الإمام القلعي معتزليا حين يقول عنه إنه "أحد علماء الاعتزال الوافدين على حضرموت في عهدها المعتزلي في القرن السادس الهجري...وأنه كان قاضيا ومفتيا لمرباط في عهد الإمام الأكحل نظرا للوحدة المذهبية التي كانت تربطه بآل المنجوي"[1].

ويستدل مفلح على (اعتزال) الإمام القلعي بمجموعة من الأدلة ضمن سياق حديث طويل تتلخص في الآتي[2]:

- أن الإمام القلعي كان شأنه شأن علماء الاعتزال إماما جامعا وفقيها موسوعيا.

- أن علوم القلعي هي عينها علوم علماء الاعتزال ومنهم شيخه سالم بافضل ومن هذه العلوم علوم العربية والعلوم الدينية وعلوم الفلسفة اليونانية وعلوم السياسة

- أن الإمام القلعي – ووفقا لمحقق كتابه تهذيب الرئاسة في ترتيب السياسة

١ - حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، العاشر والسابع عشر للميلاد، ص ١٥٧.

٢ - نفسه من ص ١٥٧ - ١٦٦.

- قد التزم بالنهج المعتزلي العريق في الاستنارة والإرشاد والنصح والتوجيه لولاة الأمر وعامة الشعب

- ذكره لأئمة الاعتزال وأعلامه وخلفائه في كتابه ممن لا يحبهم أهل السنة ولا يذكرونهم في كتبهم، ويعدد مفلح بعضا منهم.

- إحجامه عن ذكر أيٍّ من أئمة المذهب الأشعري مثل الجويني والباقلاني والغزالي وغيرهم ممن ألفوا في الأخلاق وفي نفس موضوع كتابه في النصح لولاة الأمر.

ونحن هنا نرى أن القول بكون الإمام القلعي معتزليا يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي وأن الأدلة التي ساقها كل من محقق كتاب (تهذيب الرئاسة في ترتيب السياسة) والأستاذ مفلح، في كونه معتزليا تصح عليه وعلى غيره من علماء السنة أو الاعتزال في التزام المنهج الوسط في النصح والتوجيه والإرشاد بل هو نفسه منهج اهل السنة ومنهج القرآن الكريم الذي طالب به جميع المسلمين..أما كون الإمام القلعي موسوعيا كعلماء الاعتزال فهو أمر غريب أن يكون شرط الموسوعية مرهون بالاعتزال ولم يقل به أحد قبل مفلح، وأما كون علوم القلعي هي نفسها علوم الاعتزال كعلوم العربية والعلوم الدينية وعلوم الفلسفة اليونانية فهذا أيضا من الأدلة الواهية فهذه العلوم هي علوم الأوائل جميعا من المعتزلة وغيرهم..

وخلاصة القول أنه ليس في تلك الأدلة التي ساقها مفلح على كون القلعي معتزليا دليلاً ناصعاً واضحاً على كونه كذلك.. لاسيما وأن العلماء الأوائل الذين سقنا تراجمهم للإمام القلعي رحمه الله لم يشر أحد منهم إلى كونه

معتزليا.. ولو كان كذلك أو ولو علموا عنه ذلك لأشاروا إليه ولو من بعيد.. هذا والله أعلم

المطلب الحادي عشر: القلعي الشاعر !

هل كان الإمام القلعي رحمه الله شاعرا؟..

"هذا النص الذي بين أيدينا للإمام محمد بن علي القلعي في مدح العلامة الشيخ سالم بافضل أحد أعلام الفقهاء والعلماء في ذلك العصر،.. وهنا يظهر لنا القلعي بوجهه الأدبي وبوجه الشاعر ولعل له قصائد وأشعاراً غير هذه القصيدة لم يكشف عنها التاريخ بعد،... يورد لنا هذه القصيدة الحامد في ترجمته للشيخ سالم بن فضل المذكور قائلا[1]: ومما قاله الإمام الجليل محمد بن علي القلعي في بعض مراسلاته إليه رضي الله عنهما ونفع بهما:

أبرود وشـي في المواسـم تنشر	فمفـوّف ومسـهّم ومحبـّر
أم عقـد در بالشـذور مفصّـل	زان اللآلـي نظمـه والجوهر
أم روضـة انـف تبسـم نورهـا	لما بكى فيها السـحاب الممطر
أم طـرس حبر كاد من أنـواره	يبيض منه الحبر حين يسـطر
فالنظـم سـحر والبلاغـة عسـجد	واللفظ رَوْض بالمعاني يثمر
فكأنـه نيـل الأمان لخائف	أو كالفقيـه بـه البشـير يبشـر
أو كالشفاء لمدنف أو كالوصال	بـه المتيـم بعـد يـأس يظفـر
أهداه أوحد عصره من لـم يزل	فوق السماك له يشاد المفخر
أجرت تريم على المجرة ذيلها	عجبا وحق لها الفخـار الأكبر

[1] - صالح الحامد، تاريخ حضرموت ج ٢ ص٤٧٤.

فالدهر من بعد العطول متوج ... من مجده ومطوّق ومسوّر

قال ابن فضل في الفضائل رتبة ... لم يستطعها مُنجد أو مغور

فقه ابن إدريس وإعراب الخليل ... وما حوى سقراط والإسكندر

فبسالم سلمت شريعة أحمد ... عما يئود قناتها أو يكسر

أضحى يدل على الرشاد مبيناً ... سبل الهدى ومن الضلال يحذر

لا زال للإسلام ينظم شمله ... والدين يحمي سربه لا يفتر

نرى من خلال هذا النص أن الإمام القلعي رحمه الله كانت له شذرات شعرية جيدة وإن كان يغلب عليها وفقا لهذا النص ما يسمونه (شعر الفقهاء) إلا أنها تدل على نفس شعري جيد عند القلعي ففي القصيدة نجد التشبيه الجيد والاستعارة وحسن السبك، وجزالة اللفظ وهي في المجمل تدل على ممارسته الشعر وأن أشعارا أخرى له قد ضاعت... فهل كانت للإمام أشعار أخرى غيرها؟ يغلب على الظن الإجابة بنعم. ولكن أين هي تلك الأشعار ؟ هذا ما نتركه للبحث والتقصي في هذا الجانب"[1].

المطلب الثاني عشر: وفاته وأصح الأقوال فيها:

لا يزال قبر الإمام القلعي قائما في مقبرة مرباط وشاهد قبره صخرة قديمة ربما تعود إلى عصر القلعي نفسه أو بعده بقليل ولعل دراسة جيولوجية في هذه الصخرة تكشف لنا عن عمرها الحقيقي، وعلى كل حال فإن شاهد القبر مكتوب عليه العبارة التالية "هذا قبر الشيخ الإمام الأوحد أبو عبدالله

١ - انظر بحثنا (الحياة العلمية والفكرية لولاية مرباط - ندوة مرباط عبر التاريخ) ص ٢٤ و٢٥.

محمد بن علي القلعي، كانت وفاته رحمه الله سنة سبع وسبعين وخمسمائة من الهجرة النبوية"

وهذا هو أصح الأقوال في وفاته، وما عليه الشواهد من التاريخ فالسبكي أطلق وفاته في المائة السادسة كما صرح به في طبقات الشافعية، وتقييده شاهد القبر هذا [١]، ويدل عليه كذلك ذكر ياقوت الحموي له في معجم البلدان ج٤/٣٨٩ حين قال (القلعي درس باليمن.. ومات بمرباط) علما أن وفاة ياقوت كانت سنة ٦٢٢ هـ كما هو معلوم، فذكر ياقوت لوفاته بمرباط رغم بعد المسافة بين الشام وظفار دليل على أن القلعي قد توفي قبل ياقوت بزمن طويل [٢].

وهذا يقطع ببطلان كل الأقوال الأخرى في وفاته كتلك التي وردت عند الجندي من أن وفاته كانت سنة ٦٣٠ هـ (أي بعد وفاة ياقوت بنحو ٨ سنوات) والتي تبعه فيها الخزرجي و شنبل وغيرهما.. فضلا عن تلك التي تقول بأن وفاته كانت سنة ٦٤٦ هـ وغيرها مما يجانب الصواب [٣].

١ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص ٧٢.
٢ - انظر بحثنا (الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط - ندوة مرباط عبر التاريخ، ص٨.
٣ - انظر جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان، ص٧٢.

الخاتـمة

نعود من حيث بدأنا في المقدمة فقد ذكرنا هناك أن هذه المباحث لا تفي الإمام القلعي حقه وقدره الذي يليق به.. فالرجل رحمه الله علم من أعلام الشريعة والفقه في عصره، يشهد له ذلك الكم من العلماء الأجلاء الذين ترجموا له.. ثم الذين أخذوا عنه مثل الإمام النووي وغيره من الأعلام... ولعل بحثا متخصصا في فقه القلعي على وجه الخصوص يضيء بعضا من جوانب سيرة هذا الإمام الجليل.. وفي جانب آخر يكشف عن ذلك القدر الكبير من الضيم والتجاهل الذي لحق به طوال هذه السنين... وهنا أوجه جل شكري وتقديري للنادي الثقافي على هذه اللفتة الشجاعة والكريمة في عقد هذه الندوة حول هذا الإمام الجليل القلعي رحمه الله.. والتي أرجو أن تكون فاتحة خير للاهتمام بكتب وعلم هذا العلم الكبير من أعلام عماننا الحبيبة.. دون تهميش أو تحيز أو تضييق.. والله من وراء القصد

المصادر والمراجع

- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، دار المنهاج الطبعة الأولى ٢٠٠٥

- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧

- تاريخ حضرموت الإباضي، أسد البوادي، بحث منشور في موقع المجرة الإلكتروني -منتدى الفكر والدعوة

- الدر والياقوت في بيوتات المهجر وحضرموت، أبو الأشبال سالم بن أحمد ابن جندان الأندونيسي، مخطوط

- الدلائل والأخبار في خصائص ظفار، عمر بن جعفر الكثيري، مخطوط

- الدلائل والأخبار في خصائص ظفار، عمر بن جعفر الكثيري، تحقيق سعيد مسعود المعشني

- السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين الجندي، تحقيق محمد علي الأكوع -مكتبة صنعاء الأثرية

- طبقات الشافعية، الأسنوي، نسخة الكترونية - الموسوعة الشاملة

- طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو+ محمود محمد الطناحي - دار إحياء الكتب العربية

- عقود الألماس في مناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس، علوي بن طاهر الحداد، مطبعة المدني- القاهرة ١٩٦٨.

- العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، علي بن حسن الخزرجي، دار صادر -بيروت

- معجم البلدان، ياقوت الحموي، الطبعة الأولى- دار صادر- بيروت١٩٩٦

- المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، نجم الدين عمارة، نسخة pdf الكترونية طبعة مطبعة كلبرت وروكنكفن ١٣٠٩هـ.

- موسوعة مرباط، سعيد بن خالد العمري، مخطوط

- الحياة الفكرية والعلمية لولاية مرباط، عمر عبدالله محروس الصيعري، ندوة مرباط عبر التاريخ.

- تاريخ حضرموت، صالح الحامد.

- حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة بين الإباضية والمعتزلة، سالم فرج مفلح

- بحث قيم عن (موجز تاريخ حضرموت الإباضية) في موقع (منتديات المجرة لكاتب رمز لنفسه بأسد البوادي منتدى الفكر والدعوة.

- بعض المقالات الالكترونية منها (محاضرة ملخصة للباحث عمر بن حامد الجيلاني عن الشوافع في حضرموت) في موقع الحارة العمانية –حارة المسجد.

- جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم عصبان.

- المشرع الروي نسخة pdf.

منهج الإمام أبي عبدالله محمد بن علي القلعي

في التأليف

"تهذيب الرياسة وترتيب السياسة أنموذجا"

بقلم: الدكتور أحمد بن عبدالرحمن سالم بالخير

أستاذ الدراسات اللغوية بكلية العلوم التطبيقية

بصلالة

الملخص

يتناول هذا البحث منهج الإمام أبي عبدالله محمد بن علي القلعي في التأليف وذلك من خلال كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، حيث تم الوقوف من خلال البحث على سيرة حياة المؤلف ومكانته العلمية، ومن ثم طبيعة العصر في ذلك الوقت. وبعد ذلك تم تناول المحاور الرئيسة التي تضمنها كتابه المشار إليه إضافةً إلى أهميته وطريقة القلعي في تناول محتوياته من خلال ذلك المنهج المحكم الذي تقوم عليه كتبه، وهو منهج يمكن وصفه -بادئ ذي بدء- بأنه منهج واضح المعالم، قريب المقصد، سهل المأخذ، يصل فيه القارئ أو الباحث إلى مبتغاه دون أدنى جهد؛ لأن صاحبه توخى فيه تيسير الفائدة منه، وجعلها تعم فتنتشر، فتشمل العوام والخواص، ولا تختص بفئة معينة من الناس، وذلك من خلال تيسير سبل البحث في مؤلفاته، وتخير مادتها، وطريقة عرضها، الأمر الذي يكسب كتبه طابعاً جماهيرياً، ويستدل منه على عقلية الرجل المعلم المؤلف الذي يمتلك موضوع كتابه، ويحيط إحاطة تامة تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر، ووضوح وجلاء، وبطريقة تؤدي إلى الإفهام والإقناع من خلال اطلاعه الوافي على مظانّ كتبه، واستيعابه لمفردات اللغة، ومعرفته لأساليبها، ومقدرته الفائقة في توظيف الشواهد وحسن استخدامها.

المبحث الأول: حياة الإمام القلعي

المطلب الأول: اسمه، ولادته، نسبته، وفاته

هو الإمام "أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي، قيل بفتح القاف وسكون اللام نسبة إلى قلعة حلب المدينة المعروفة بالشام، وقيل بفتحهما نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب، وقيل غير ذلك"[1].

لم تسعفنا كتب التراجم بتاريخ ولادته إلا أن المرجح أنه ولد في العقد الثامن من القرن الخامس الهجري تقريباً[2].

وقد اختلف المؤرخون في نسبة الإمام القلعي وفي ضبط هذه النسبة تبعاً لاختلافهم في القلعة المنسوب إليها الإمام وفي أي بلاد المسلمين هي[3]، إلا أن ياقوت الحموي ذكر في معجمه "والقَلْعة موضع باليمن ينسب إليها الفقيه القلعي درس بمرباط، وصنّف كنز الحفاظ في غريب الألفاظ، والمستغرب من ألفاظ المهذب، واحتراز المهذب، وأحاديث المهذب، وكتاباً في الفرائض

١ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٤٥٣/١.

٢ - جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم مبارك عصبان، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء، ١١/.

٣ - انظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك ٤٥٣/١، و العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن علي بن الحسين الخزرجي، وقد رجّح خير الدين الزركلي في الأعلام نسبته إلى قلعة حلب، ٢٨١/٦.

ومات بمرباط"[1]، مما يعضّد الترجيح بأنه من اليمن وليس من بلاد المغرب، كما أن نشأته وتلقّيه العلم بزبيد يشكّلان دعما لهذا الترجيح.

تشير كتب التراجم إلى أن القلعي عمِّر طويلاً حيث ناهز التسعين وصرّح بذلك الجندي في السلوك والخزرجي في العقود اللؤلؤية وتابعهم في ذلك الزركلي حيث أطبقوا على أن وفاته بمرباط في سنة ٦٣٠هـ، إلا أن تاريخ الوفاة المنقوش على قبره يشير إلى سنة ٥٧٧هـ وقد مال إلى ذلك الأستاذان أكرم عصبان وسالم فرج مفلح[2].

المطلب الثاني: شيوخه، تلاميذه، أعماله، كتبه، أقوال العلماء فيه:

رغم أن شهرة العلامة محمد بن علي القلعي قد أطبقت الآفاق _ على حدّ تعبير أصحاب التراجم والطبقات _ إلا أن المصادر لم تسعفنا بسيرة حياته لنتمكّن خلالها من الوقوف على شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم، وليس هذا بمستغرب، فمعظم علماء تلك الحقبة في ذلكم الركن الجنوبي من جزيرة العرب قد لفّ حياتهم ذلك الغموض المبرر وغير المبرر في أكثر الأحيان. وعليه فقد طفقت بالبحث عن أية إشارة إلى شيوخه من خلال كتب التراجم فلم أجد مبتغاي فتمثّلت بيت امرئ القيس:

١ - معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت، ٣٨٩/٤، وانظر: طبقات الشافعية، عبدالرحيم الإسنوي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١٦٤/٢ حيث أضاف:" منسوب إلى بلد باليمن يقال لها القلعة، بينها وبين زبيد نحو يوم".

٢ - انظر: حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، سالم فرج مفلح، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، /١٥٧.

وقـد طَوَّفْـتُـ فـيـ الآفاقِـ، حَتى
رَضيـتُـ، مِـنَـ الغَنيمَةِ، بالإيابِـ

إلا أن صاحب كتاب أدوار التاريخ الحضرمي[1] ألمح إلى أن الشيخ سالم بن فضل بن عبدالكريم بافضل قد نظم فيه تلميذه محمد بن علي الظفاري قصيدة مادحاً إياه، ومطلعها:

أبُرودُ وشـيـ فـيـ الـمـواسِمِ تُـنـشَـرُ
فَمُهفْهـفٌـ ومُسَـهَّمٌ ومُحَبَّـرُ

إن مما لا شك فيه أن الإمام القلعي قد أخذ هذا العلم والفقه بالتلقي ومجالسة كبار علماء زمانه لاسيما أنه نشأ في زبيد وعاصر الكثير من العلماء في تلك الفترة وهذا ما سنراه لاحقاً عند الحديث عن عصره.

أما تلاميذه فهم كثر ومن أشهرهم:

- أبو نصير يحيى بن نصير الأوسي، كان معلماً في زمن المنجوي إلى أن قدم الإمام القلعي فلزمه وأخذ عنه[2].

- أبو الحسن علي بن أحمد بامروان، طلب العلم بتريم ورحل إلى مرباط فتخرج بالإمام القلعي[3].

١ - أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، دار المهاجر، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. ١٩٨/١.

٢ - انظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك ٣/٤٤٥.

٣ - السابق ٣/٤٤٨.

بدأ الإمام القلعي نشاطه في مرباط[1] عاصمة إقليم ظفار، فأقبل على التدريس ونشر العلم، وأطبقت شهرته النواحي، فقصده طلاب العلم، ونستطيع أن نجمل أعماله في مقولة صاحب طبقات فقهاء اليمن في فصل (معرفة أسماء الفقهاء والقضاة من بلاد شتى) "ففي مرباط مفتيها وفقيهها محمد بن علي القلعي، له مصنفات حسنة منها قواعد المهذب وغيره"[2]، فأعماله هي:

١ - الفتيا:

قال ابن منظور في لسان العرب: "الفُتْيا والفُتْوى والفَتْوى ما أفتى به الفقيه"[3]، والمفتي: هو المخبر بحكم الله لمعرفته بدليله، وقيل: هو المخبر عن الله بحكمه، وقيل: هو المتمكن من معرفة أحكام الوقائع شرعا بالدليل مع حفظه لأكثر الفقه. تتضح لنا أهمية الفتيا من خلال التعريفات السابقة ولذلك فقد وضع العلماء الكثير من الشروط الملزمة لمن يتصدّر هذا المجال، بل قد قام البعض إلى تقسيم المفتين إلى طبقات ومن هؤلاء ابن الصلاح في كتابه أدب المفتي والمستفتي، وبالرجوع إلى ذلك الكتاب نجد أن الإمام القلعي يدخل في المرتبة الثالثة من الإفتاء حيث يقول ابن الصلاح: "الحالة الثالثة: أن لا يبلغ رتبة أئمة المذهب أصحاب الوجوه والطرق، غير أنه فقيه النفس حافظ لمذهب إمامه، عارف بأدلته، قائم بتقريرها، وبنصرته، يصور،

---

١ - "وضبطها بخفض الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم طاء مهملة سميت بذلك لكثرة ما كان يربط بها من الخيل" السلوك في طبقات العلماء والملوك ٤٥٣/١.

٢ - انظر: طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، /٢٢٠.

٣ - لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، (فتا).

ويحرر، ويمهد، ويقرر، ويزيف، ويرجح، لكنه قصر عن درجة أولئك، إما لكونه لم يبلغ في حفظ المذهب مبلغهم، وإما لكونه لم يرتض في التخريج والاستنباط كارتياضهم، وإما لكونه غير متبحر في علم أصول الفقه على أنه لا يخلو مثله في ضمن ما يحفظه من الفقه ويعرفه من أداته، على أطراف من قواعد أصول الفقه، وإما لكونه مقصرًا في غير ذلك من العلوم التي هي أدوات الاجتهاد الحاصل لأصحاب الوجوه والطرق. وهذه صفة كثير من المتأخرين إلى أواخر المائة الخامسة من الهجرة المصنفين الذين رتبوا المذهب وحرروه وصنفوا فيه تصانيف بها معظم اشتغال الناس اليوم، ولم يلحقوا بأرباب الحالة الثانية في تخريج الوجوه، وتمهيد الطرق في المذهب"[1].

٢ - القضاء:

هنالك فروق بين القضاء والإفتاء، وهذه الفروق ترجع إلى فرق في حقيقتهما، وفروق في توابعهما ومجالاتهما، فمن حيث الحقيقة أن القضاء إنشاء لا إخبار فهو " إنشاء إباحة أو الزام في مسائل الاجتهاد المتقارب فيما يقع فيه النزاع لمصالح الدنيا"[2]، في حين يكون الإفتاء إخبار يحتمل التصديق والتكذيب لا إنشاء. ومن هنا فالقضاء لا يكون إلا بلفظ منطوق، وتكون الفتيا بالقول أو الفعل أو الإشارة. أما الفروق بينهما في توابعهما فهي أن الحكم يلزم المحكوم عليه قبوله والعمل به، سواء اعتقده صواباً أم اعتقده خطأً.

---

١ - أدب المفتي والمستفتي، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق د.موفق عبدالله عبدالقادر، دار العلوم والحكمة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م، /٩٨.

٢ - الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤١٦هـ /٢٠.

والفتيا بخلاف ذلك، لا يلزم المستفتي قبولها والعمل بها ما لم يغلب على ظنه أنها صواب. ومن الفروق في مجالاتهما، فالأحكام في الواجبات والمحرمات والمباحات، ولا تكون في المكروهات والمستحبات. ويكون الإفتاء في ذلك كله. كما أن القضاء خاص بالمعاملات، والإفتاء يكون في العبادات والآداب بالإضافة إلى المعاملات.

٣ - التدريس:

تصدر القلعي للتدريس في مرباط، فقصده طلاب العلم من كل ناحية، وتتلمذوا على يديه في الفقه والفرائض والسياسة وغيرها فتخرّج به من العلماء الأجلاء من انتشر عنهم العلم في ظفار وحضرموت وغيرها.

إن تلك الأعمال الجليلة لم تشغل الإمام القلعي عن التأليف فصنّف العديد من الكتب أسهمت في إثراء الحياة العلمية والمكتبة الإسلامية فذكرت لنا كتب التراجم الكثير من تلك الكتب ومنها:

١ - احترازات المهذب: ذكره السبكي في طبقاته حيث قال في ترجمة الإمام محمد بن علي القلعي: "صاحب كتاب احترازات المهذب..."، كما سجّل الخزرجي في العقود اللؤلؤية شهادة الفقهاء بتفرّده فقال: "وله احتراز المهذب الذي شهد له أعيان الفقهاء أنه لم يصنف في الاحتراز له نظير".

٢ - قواعد المهذب: ذكره ابن سمرة الجعدي فقال: "... له مصنفات حسنة منها قواعد المهذب"[1]، وممن ذكره الجندي في السلوك والخزرجي في العقود اللؤلؤية.

---

١ - طبقات فقهاء اليمن /٢٢٠.

٣ - كنز الحفاظ في غريب الألفاظ: أشار إليه الجندي والخزرجي والزركلي.

٤ - إيضاح الغوامض في علم الفرائض[١]: وهو عبارة عن مجلدين جيدين، جمع فيهما بين مذهب الإمام الشافعي وغيره من أقوال الأحناف والمالكية، مما يدل على اطلاعه على المذاهب الأخرى، وأنه لم يكن مقتصراً على دراية بمذهب الشافعي فقط. كما أورد فيه طرفاً جيداً من الجبر والمقابلة والوصايا، وهذا يدل على احاطته بعلم الحساب.

٥ - أحكام القضاة: ذكره الخزرجي والزركلي، ويطلق عليه البعض أحكام القضاء.

٦ - لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار: ذكره الخزرجي في العقود اللؤلؤية والجندي في السلوك والزركلي في الأعلام، ويعد هذا الكتاب من أنفس كتب الإمام القلعي وأعظمها نفعاً؛ إذ إن موضوعه متعلق بشمائل وصفات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان فضلهم الذي جاء منصوصاً في الكتاب والسنة، وقد أفرده العلماء بالتأليف وجعلوه في أبواب الاعتقاد.

٧ - اللفظ المستغرب من ألفاظ المهذب: ذكره السبكي في طبقاته فقال: "وله كتاب آخر في مستغرب ألفاظه" أي المهذب، كما نقل عنه الفيومي في مصباحه" وقال الشيخ أبو عبدالله القلعي في كتابه على غريب المهذب: القَرَن بفتح الراء بمنزلة العَقَلَة، فأوقع المصدر موقع الاسم، وهو سائغ"[٢].

١ - انظر: جهود الإمام القلعي العلمية /٦١.

٢ - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق د.عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف، الطبعة الثانية، باب (القاف):٦.

تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: أشهر كتب الإمام القلعي ذكره الجندي في السلوك، والخزرجي في العقود اللؤلؤية، وخير الدين الزركلي في الأعلام.

ولعل خير ما يدل على مكانة القلعي العلمية ويؤكد أهمية مؤلفاته تلك الشهادات التي سجلت بأقلام مترجميه، فمن تلك الأقوال:

_ قول بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي (ت٧٣٢هـ) في مؤلفه السلوك في طبقات العلماء والملوك: "عنه _ أي القلعي _ انتشر العلم، فتسامع به الناس إلى حضرموت ونواحيها، فقصدوه وأخذوا عنه الفقه وغيره، بحيث لم ينتشر عن أحد بتلك الناحية كما انتشر عنه، وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه".

_ قول أبي الحسن علي بن الحسين الخزرجي (ت٨١٢هـ) في كتابه طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن: "وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها، وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية، ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر عنه، وأعيان فقهائه أصحابه وأصحاب أصحابه".

- قول شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في كتابه تقريب التهذيب: "إن الفقه الشافعي انتشر عن القلعي بظفار وحضرموت، وإن الناس تسامعوا به في حضرموت وغيرها، فقصدوه وحملوا عنه" [1].

---

١ - نقلاً عن: جهود الإمام القلعي العلمية /٤٤.

المبحث الثاني: عصره

المطلب الأول: أوضاع زبيد

كانت زبيد قد شهدت في القرن الخامس الهجري ظهور دولة جديدة، ففي سنة ٤١٢هـ ظهرت دولة بني نجاح التي قامت على أنقاض دولة بني زياد في تهامة، وقد شجع نجاح مذهب أهل السنة، وكان نجاح نفسه شافعي المذهب، وانتهت هذه الدولة في حدود سنة ٤٥٤هـ وظهرت الدولة الصليحية برئاسة علي بن محمد الصليحي، واستمرت حتى سنة ٥٣٢هـ. وفي سنة ٥٥٤هـ قصد علي بن مهدي الرعيني زبيد وعاث فيها فساداً، وتحت وطأة هذه الفتنة خرج الإمام القلعي من زبيد.

ومن ناحية أخرى فقد عرفت حضرموت في بدايات القرن الخامس الهجري العديد من الدول، فهناك دولة آل راشد ومقرها مدينة تريم، ودولة آل دغار ومقرها شبام، ودولة آل إقبال ومقرها الشحر، ودولة المنجوي ومقرها مرباط.

لقد عرفت زبيد بكونها مركزاً للعلوم، وخاصة المذهب الشافعي الذي ازداد رسوخاً لسببين: أحدهما: تبني الدولة النجاحية له، وثانيهما: العلماء الدين ما فتئوا يحررون أصوله ويقررون فروعه، حتى أقبل الناس عليه من سائر البلاد خاصة بعد دخول المهذب للشيرازي إليها. ومن علماء الشافعية

الذين كانت تعج بهم زبيد القاسم بن محمد الجمحي (ت:٤٣٧هـ) الذي أخذ عنه علماء لحج وأبين، والفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي (ت:٥١٤هـ) أخذ عنه جلة الفقهاء من أبين وحضرموت.

وكان الأمر كذلك في حضرموت فقد اختار علماء حضرموت الفقه الشافعي أما انتشاره في حضرموت فإنما كان على يد الإمام القلعي الذي ألقى رحله بمرباط سنة (٥٥٤هـ)[1].

المطلب الثاني: الحياة السياسية في مرباط:

كانت ظفار في القرن السادس الهجري تحت حكم دولة المنجويين وعاصمتها مرباط، وكانت هذه الأسرة أسرة علم وأدب وكرم ومحبة للعلماء قبل أن تكون أسرة حكم وسياسة. وكان من أشهر سلاطينها أحمد بن منجوه وابنه محمد بن أحمد (قدم القلعي مرباط في عهده) والسلطان محمد بن محمد بن أحمد الملقب بالأكحل.

كانت مرباط في عهد المنجويين تحتل مكانة كونها بوابة اليمن على بلاد الهند والسند، إضافة إلى الاستقرار والعدل الذي أرست دعائمه الدولة المنجوية. وهنا تتضح بعض المعالم التي كانت وراء إلقاء الإمام القلعي رحله في مرباط بعد خروجه من زبيد إثر ثورة ابن مهدي حين كان في طريقه إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

١ - طبقات فقهاء اليمن /٨٧-١٥٣.

المطلب الثالث: الحياة العلمية في مرباط:

أشرت فيما سبق أن حضرموت قد شهدت ظهور المذهب الشافعي وغلبته في القرن السادس الهجري خاصة، ومنها سلك طريقه إلى ظفار ومرباط. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحركة العلمية في مرباط كانت متمثلة في وجود عدد من العلماء واستبنت ذلك من أخبار استقبالهم للإمام القلعي عند استراحته على الشاطئ بعد سفره الطويل من زبيد قاصدا بغداد، كما أن السلطان محمد بن أحمد المنجوي _ فيما يروى _ كانت لديه مكتبة حافلة بالكتب النافعة وقد ساوم الإمام القلعي في بقائه شريطة أن يمكّنه من مقتنياتها. وهكذا أصبحت مرباط قبلة يؤمها طلبة العلم لا سيما بعد استقرار الإمام القلعي بها وتصدره للتدريس فوفد إليها الكثير من طلبة العلم من حضرموت واستعاضوا بها زبيد.

المبحث الثالث:
السياسة الشرعية

عرّفها أبو البقاء الكفوي في كلياته، حيث قال: "السياسة هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير"[1].

والسياسة إذا كانت تنطلق من الشريعة وتتقيد بنصوصها وأحكامها كانت سياسة شرعية، وأما إن كانت تنطلق مما ترى العقول صوابه من خلال تصوراتها وتجاربها من غير تقيد بالشرع فهذه سياسة عقلية أو مدنية، وهي مباينة للسياسة الشرعية.

ألف العلماء المسلمون في السياسة الشرعية إلا أن ذلك التأليف ظهر متأخراً ولا غرو في ذلك إذ إن من المعروف أن وجود العلم يسبق تدوينه بمدة قد تطول وقد تقصر، فتدوين العلم لاحق على وجوده، وذلك أمر موجود في كل العلوم الدينية أو الدنيوية، ولا يعني عدم تدوين العلم في الفترة السابقة على التدوين عدم وجد العلم فيها فذلك أمر لم يقل به أحد.

١- الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي١/٨٠٨

لقد تعددت مناهج العلماء في هذا المجال فكتب التراث السياسي في الإسلام تُعَدُّ بالمئات، وقد أَلَّف هذا التراث الفقهاء والأدباء والفلاسفة؛ لذلك نجد أن مناهج هذه الكتب مختلفة تبعاً للمنهج الذي أُلِفت من خلاله، والهدف الذي كُتبت من أجله، ومن الخطأ الظن أن هذه الكتب صُنِّفت على نسق واحد، وأن التراث السياسي في الإسلام أُلِف بطريقة واحدة، ويتعرض للسياسة من منظور واحد، بل نجد من خلال استقراء التراث السياسي الإسلامي أن هذا التراث كُتب بمناهجَ مختلفة، ونجد الموضوع الواحد يُعالج في هذا التراث بطرق مختلفة؛ تبعاً لاختلاف المنهج والتصور العام للمفهوم السياسي للإسلام.

ومن هذه الكتب: آداب الملوك لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، و الأحكام السلطانية والولايات الدينية وكتاب درر السلوك في سياسة الملوك لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠هـ)، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي يعلى الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ)، وغياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت٤٧٨هـ)، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، وتهذيب الرياسة وترتيب السياسة لمحمد بن علي بن أبي علي القلعي (ت٥٧٧هـ)، والمنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري (ت٥٨٩هـ).

المطلب الأول: كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة وأهميته:

ألّف الإمام القلعي كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة سالكاً منهجاً يهدف إلى وعظ الملوك والحكام والولاة، عن طريق ذكر النصائح والأخبار والحكم والأمثال في فضائل الأخلاق التي يستقيم بها الملك وتصلح بها حال الرعية، كما يتعرض في كتابه إلى بيان خطر الأخلاق المذمومة وأثرها في زوال الملك وضعفه، وذكر القلعي في كتابه ما يجب أن يتصف به أعوان السلطان من الوزراء والقادة، كما يذكر الإحسان إلى الجند وفرض الأرزاق لهم وكيفية جباية الأموال، وحسن التدبير في الحروب ومكايدها. وقد خرج الكتاب محققاً في طبعته الأولى عن مكتبة المنار بالأردن سنة ١٩٨٥م.

تكمن أهمية تهذيب الرياسة وترتيب السياسة في كونه موجهاً إلى الحكام والسلاطين والأمراء ليكون لهم مرشداً ودليلاً فيما يقومون به من أمور دينية ودنيوية. أضف إلى ذلك فهو موجّه إلى من هم قريبون من أولئك الحكام والوزراء فدعاهم إلى أن يتحلّوا بالصفات الحميدة الفاضلة. فضلاً عن أنه موجّه إلى عامة الشعب في دعوتهم إلى السمع والطاعة. والحق أن هذا الكتاب يعتبر نموذجاً لما كان عليه العلماء العاملون الذين كتبوا في كل فن واستغلوا إمكانياتهم لخدمة العلم والإسهام في توجيه الحياة نحو الأفضل، خاصة في هذا الموضوع الحيوي الحساس الذي يهم الأمة كلها، لأنه بصلاح متولّيها تصلح.

لم يشر الإمام القلعي في كتابه إلى أنه قد ألّف هذا الكتاب لأحد السلاطين أو الحكام _ كما كان أكثر من ألّف في هذا المجال كالغزالي في كتابه التبر

المسبوك الذي وجّهه إلى السلطان السلجوقي في عهده _ وإنما قدّمه حسبة لله تعالى. لقد عني الإمام القلعي في كتابه بالسير والأفعال والأقوال الدالة على السؤدد والحكمة والحنكة السياسية والأخلاق الحميدة.

المطلب الثاني: منهج القلعي في كتابه:

لقد كان الكتاب موجهاً إلى أطياف مجتمعية متعددة فهو للحكام والسلاطين والوزراء والرعية ولذلك كان عليه أن يسلك في تقديمه منهجاً يتناسب وهذه الأطياف المتعددة فاعتمد ذلك المنهج المحكم الذي يمكن وصفه -بادئ ذي بدء- بأنه منهج واضح المعالم، قريب المقصد، سهل المأخذ، يصل فيه القارئ أو الباحث إلى مبتغاه دون أدنى جهد، لأن صاحبه توخى فيه تيسير الفائدة منه، وجعلها تعم فتنتشر، فتشمل العوام والخواص، ولا تختص بفئة معينة من الناس، وذلك من خلال تيسير سبل البحث في مؤلَّفه، وتخير مادته، وطريقة عرضها، الأمر الذي أكسب كتابه طابعاً جماهيرياً، ويستدل منه على عقلية الرجل المعلم المؤلف الذي يمتلك موضوع كتابه، ويحيط إحاطة تامة تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر، ووضوح وجلاء، وبطريقة تؤدي إلى الإفهام والإقناع من خلال اطلاعه الوافي على مظانّ كتبه، واستيعابه لمفردات اللغة، ومعرفته لأساليبها، ومقدرته الفائقة في توظيف الشواهد وحسن استخدامها.

وقد حرص على أن يكون منهج كتابه واضحاً لا غموض فيه ولا إبهام، ليسهل تناوله ويقرب مأخذه، ولذلك أسهب في شرح منهج كتابه بشكل واف في المقدمة، كما حرص على عرض مادته بأسلوب واضح لا غرابة فيه

لتكون المادة العلمية التي يقدمها قريبة المأخذ، سهلة المطلب لأن هدفه عامة الناس وليس خاصتهم فقط. يقول في مقدمة كتابه: " فهذا الكتاب جمعته في تهذيب الرياسة وترتيب السياسة وجعلته قسمين: القسم الأول منه يشتمل على أنواع أبواب يحتوي على غرر من كلام الحكماء ودرر من نظام الفصحاء مما ينسبك في قالب الأمثال الشاردة وينتظم في سلك الحكم الواردة يتضمن محاسن الأوصاف المحمودة من ذوي الأمر وذم أضدادها وما يجب استعماله أو تركه من الأمور التي يحمد متبعها عاقبة إصدارها وإيرادها. والقسم الثاني بحكايات من الخلفاء ووزرائهم وعمالهم وأمرائهم مما يدل على نبلهم وغزارة فضلهم وحسن سيرتهم وكمال مروءتهم وما اشتملت عليه طرائقهم وحوته خلائقهم من العدل والإنصاف والبذل والإسعاف والعفو عند الاقتدار وقبول النصح من الناصحين وسماع الموعظة من الصالحين مع ما اتصفوا به من علم وأدب ووقار وحلم وفصاحة وبراعة وسماحة وشجاعة فمن اتخذ ذلك إماماً ارتفع وانتفع ومن عمل بما شاكله رشد وحمد. وقد ابتدأت ذلك بذكر وجوب الإمامة وعدم الاستغناء عن الولاة وما يجب لهم على الكافة من الطاعة والموالاة والله تعالى الموفق لانتظامه والتيامه والمعين على إتمامه واختتامه"[1].

ومن خصائص المنهج التأليفي عند القلعي العناية بذكر مصادر كتابه وحسن استخدامها وتوظيفها في البحث. وهي مسألة لا ينفرد بها القلعي، وإنما تشكل أحد مرتكزات المنهج التأليفي عند العرب ابتداء من القرن الرابع الهجري.

١ - تهذيب الرياسة وترتيب السياسة /٧٢-٧٣.

فمن الحقائق المستقرة في الحياة العلمية عند العرب، أن الرواية الشفوية، كانت المصدر الذي يمثل الأساس فيما نقل عن العرب من معارف وعلوم، وقد عني القدماء بها عناية فائقة تمثلت في اهتمامهم البالغ بإسناد كل خبر إلى راويه، وكل قول إلى قائله وكل نص إلى منشئه، واستمر هذا الاهتمام إلى ما بعد عصر التدوين، وقادهم ذلك -وما يتضمنه من ذكر المصدر وإيراد السند- إلى تحري الدقة وتوخي الضبط، ودفعهم للتلمذة على شيوخ العلم وأئمته. لقد أورد القلعي في كتابه أسماء الكثير من المصادر التي استقى منها معلوماته ومن ذلك: كتاب المبهج للثعالبي حيث ذكره في مواطن كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر: "ومن كلام الثعالبي في المبهج: الملك من يوالي لأوليائه صلاته"[1]، "ومن كتاب المبهج: لا يتخذ الملك الأعوان إلا أعيان، والأخلاء إلا أجلاء، والندماء إلا كرماء"[2]، ومقامات الحريري ذكرها في مواضع عدة منها: "وقال الحريري: أسعد الناس من سعدت به رعيته"[3]. كما أنه ذكر أسماء بعض الأعلام الذين أورد أقوالهم ومن ذلك: "وقال الحسن: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم"[4]، و"قال معاوية: أنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه"[5].

ومن خصائص منهجه في التأليف أنه يشرح بعض المفردات، ومن ذلك شرحه لفظة (الداري) الواردة في الحديث "مثل الجليس الصالح كالداري

١ - السابق / ١٢٤.
٢ - السابق / ١٥٢.
٣ - السابق /١٢٤.
٤ - السابق/١٨٣.
٥ - السابق /١٩٤.

إن لم يحذيك من عطره، عَلَقَكَ من ريحه" حيث قال الإمام القلعي: "قلت الداري: العطار، ويحذيكَ: أي يعطيك ويهب لك"[1]، و تفصيله للفظة (الحطمة) في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "شر الرعاة الحطمة" قال القلعي: "قلت: الحطمة من الرعاة هو العنيف برغبة المال فكأنه يحطّمها أي يكسرها"[2]. بل نجده يسلك أكثر من ذلك أحياناً ففي خطبة الحجاج عند ولايته على أهل العراق التي أوردها الإمام القلعي قال: "وهذه الحكاية قد اشتملت على ألفاظ كثيرة من الغريب، وأنا أشير إلى بيانها على سبيل الاختصار..." ثم شرع في تفسير الغريب من تلك الخطبة[3].

ومن خصائص منهجه في التأليف انتفاء ظاهرة الاستطراد وتكرار النصوص، هذه الظاهرة التي نراها بارزة في منهج التأليف عند العرب وكان لهم في ذلك وجهة نظر، فالقلعي ملتزم بالموضوع الذي يعالجه لا يتجاوزه، متقيد بالفكرة التي يفرضها لا يتعداها حتى يعطيها حقها، ويوفر لها كل مستلزماتها، ويسوقها بطريقة تكشف عن مقدرة بارعة على تناول الموضوعات وعرضها وتحليلها. وقد قاده هذا الأمر إلى عدم تكرار المادة في الكتاب الواحد، بل نراه حريصاً على ذلك في رسم منهج كتابه متيقظاً له، متحاشياً إياه في كثير من مواضع الكتاب.

ومن تلك الخصائص كذلك اهتمامه بعلم الحديث، حيث نجده يدلل

---

١ - تهذيب الرياسة وترتيب السياسة /١٥١.

٢ - السابق /١٩٤

٣ - السابق / ٢٨٢-٢٨٤.

على المسألة، فلا يذكر رأياً أو يورد قولاً دون أن يستدل عليه بالنصوص من الكتاب والسنة.

لقد تجنب ذكر الخلافات الفقهية في الفروع وهو مسلك حسن في منهجية كتب السياسة حتى لا يشتت الذهن ويوقع المسؤول في حيرة، وإن وُجدَ شيء من هذا أشار إليه إشارة مقتضبة كما قال في وجوب نصب الإمام وما يجب أن يتوافر فيه من الأوصاف "أجمعت الأمة قاطبة إلا من لا يعتد بخلافه على وجوب نصب الإمام على الإطلاق وإن اختلفوا في أوصافه وشرائطه"[1].

وهكذا كان منهج القلعي في التأليف مؤسساً على ثوابت علمية واضحة، تمثلت في الترتيب الواضح، والمأخذ السهل، ووحدة الموضوع، وانتفاء التكرار، والتوثيق العلمي، فظهر لنا مؤلفاً متميزاً متمكناً، توافرت لكتابه مقومات المنهج العلمي الحديث، مما يجعله يشغل منزلة رفيعة بين رجالنا العظماء وعلمائنا النوابغ، وكتّابنا الأفذاذ، جاء بجديد في مجال التأليف والتصنيف، وأسهم في تطور منهج التأليف والبحث عند العرب.

---

١ - السابق /٧٤.

المصادر والمراجع

١_ الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، شهاب الدين أحمد ابن إدريس القرافي، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤١٦هـ.

٢_ أدب المفتي والمستفتي، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق د.موفق عبدالله عبدالقادر، دار العلوم والحكمة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٣_ أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، دار المهاجر، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤_ الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

٥_ تقريب التهذيب أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ وهو اختصار لكتابه تهذيب التهذيب على تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي.

٦_ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للإمام أي عبدالله محمد بن علي القلعي، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، الأردن _ الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧_ جهود الإمام القلعي العلمية، أكرم مبارك عصبان، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء.

٨_ حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، سالم فرج مفلح، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٩_ السلوك في طبقات العلماء والملوك، أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٠_ طبقات الشافعية، عبدالرحيم الأسنوي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١_ طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت.

١٢ _ طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، علي بن الحسين الخزرجي ت ٨١٢هـ تحقيق عبدالله محمد الحبشي الحضرمي والدكتور مصطفى عبدالكريم الخطيب، دار المناهج للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٣_ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن علي بن الحسين الخزرجي، تصحيح وتنقيح الشيخ محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، مصر ١٩١١م.

١٤_ الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق

د.عدنان درويش و محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٦.

١٥_ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٦_ المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق د.عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف، الطبعة الثانية.

١٧_ معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

المكانة العلمية

للإمام محمد بن علي القلعي

بقلم: الباحث / حسين بن أحمد بن علوي الذيب باعمر

توطئة

تبحث هذه الورقة عن المكانة العلمية التي تبوّأها الإمام محمد بن علي القلعي، فوضعته في مرتبة سامية بين العلماء، وخاصة الفقهاء منهم. وتهدف إلى بيان الأثر العلمي خاصة الذي خلّفه القلعي في ظفار وما حولها. وقد اعتمدت فيها على ما كتبه أكرم مبارك عصبان في كتابه "الجهود العلمية للإمام القلعي"، إذ وجدته خير من كتب في هذا العصر عنه. وهو مع صغر حجمه قد ضم فوائد كثيرة، رأيت أن أهمها تتبعه لاستشهادات الأئمة الفقهاء _كالنووي_ بكلام القلعي. غير أنه ينقصه التزود بكتب القلعي المخطوطة والبحث عنها في مظانها ليتمم بحثه القيم، ويجعله أكثر أصالة.

وتتكون هذه الورقة من قسمين:

القسم الأول يعرّف بالإمام القلعي باختصار في خمسة مباحث. والقسم الآخر: يبيّن مكانته الفقهية بالنظر في كتابه: (إيضاح الغوامض في الدرر والفرائض)

القسم الأول

١ - حياته:

ولد القلعي في مصر ورحل إلى زبيد وقصد المقام بها إلا أن تغيّر الأحوال فيها اضطرته إلى الفرار قاصدا دار الخلافة بغداد، فلما نزل في مرباط للاستراحة ألحّ عليه حاكمها بالمقام عندهم، فأقام بها ودرّس وأفاد حتى وفاته بها سنة ٥٧٥ هـ.

٢ - علومه:

برز واشتهر في علم الفقه وخاصة على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وكان محدّثا ولغويا، وله مشاركات في علوم أخرى.

٣ - شيوخه وتلاميذه:

من أشهر تلاميذه الفقيه علي بن أحمد بامروان والشيخ تاج العارفين سعد الدين محمد بن علي الظفاري والسيد عبد الله بن محمد بن علي باعلوي.

٤ - مؤلفاته:

وهي أوضح دليل على علم العالم وأبقى آثاره. وقد خص كتاب (المهذّب) لأبي إسحاق الشيرازي بأربعة كتب شرح فيها ألفاظه وذكر احترازاته وقواعده وخرّج أحاديثه. وله كتب في المواريث وفضائل الصحابة وغيرها.

والناظر في ما وصل إلينا من كتبه يتبين له الآتي:

- أنه خصّ أغلب ما كتبه في الفقه، وأن الفقه الشافعي – وخاصة كتاب المهذب للشيرازي- نال النصيب الأكبر.

- أن ما كتبه في باقي العلوم دالّ على سعة علمه واطلاعه ودقيق فهمه.

- أن كتابه (قواعد المهذب) يعطيه مكانة خاصة لأنه يُعدّ من الكتب المتقدمة في القواعد الفقهية.

٥ - مكانته العلمية وتأثيره:

يمكننا الاستدلال على مكانة القلعي الفقهية من عدّة أمور، منها:

- ما كتبه وخلّفه لنا. وهذا – وإن لم يكن وصل إلينا كاملا- إلا أن ما نُقل إلينا في كتب غيره شاهد على رفيع مكانته لدى من نقل عنه واستشهد بكلامه.

- الاستشهاد بكلامه والنقل من كتبه في مسائل من الفقه والحديث واللغة، خاصة وأن من فعلوا ذلك هم علماء لهم مكانتهم في هذه العلوم، وأشهرهم الإمام النووي وتقي الدين السبكي في كتاب (المجموع شرح المهذب) وتكملته.

- ذكره في طبقات الفقهاء الشافعية. وممن عده من هذا الطبقات: الجعدي والتقي السُبكي والإسنوي وابن قاضي شُهبة. وقد وصفه هؤلاء بأنه "إمام"، وهي كلمة لها دلالتها على العلم.

أما تأثيره، فإن ما سبق ذكره من تلاميذه وكتبه ومكانته كل ذلك من تأثيره، إلا أن له أثراً آخر قد تكون له دلالة خاصة على قوة تأثيره وعمقه، وهو نشره للمذهب الشافعي في ظفار وما حولها. وقد نص على هذا باطحن فيما نقله عنه الكثيري في (الدلائل والأخبار في خصائص ظفار)، وفيما نقله السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقّاف عن ابن حجر العسقلاني.

مع التنبه إلى أن المذهب الشافعي ربما قد يكون وصل إلى ظفار قبل ذلك، إلا أن الظاهر أن القلعي ثبّته ونشره أكثر باستقراره في مرباط وأخذ الناس في تلك المناطق العلمَ عنه.

القسم الثاني:
كتاب (إيضاح الغوامض
في الدرر والفرائض)

هذا الكتاب كتبه القلعي في علم المواريث على مذهب الإمام الشافعي. وهو كتاب متوسط، لم يتوسع فيه ولم يختصره للغاية، بل جعله وسطا.

وقد حصلت على نسخة منه جيدة للغاية وقيمة من يد الأستاذ عمر بن عبدالله بن محروس جزاه الله خيرا. وهو حصل عليها من دار الكتب الوطنية بتونس.

تقع النسخة في ما يقارب ١٧٦ ورقة، نسخت في ٢١ من ذي القعدة سنة ٧٤٢ هـ. وخطها نسخ واضح. وهي قليلة الأخطاء، استدرك ناسخها بعض ما فاته في هوامش الصفحات.

وقد ابتدأ القلعي كتابه بهذه المقدمة:

(الحمد لله موجد الخلق من غير تقدمِ مثال ومميتهم عند انتهاء مَا قسم لهم من الأرزاق وسمّى لهم من الآجال وقاسم تراثهم على مقتضى حكمته التي يعجز عن إدراكها عقول ذوي الكمالِ ومعيدهم في الآخرة ليجزيهم على ما سبق لهم من الأعمال حمداً يتضاعف مدده في كل حال ويقتضي المزيد من النعماء والنوال وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف الجلال وعلى صحبه وأهله أكرم صحب وآل. أما بعد فإن علم الفرائض مهم في الدين غير مستغنى عنه في كل حين وقد حضّ رسول الله صلى الله

عليه وسلم على تعلمه وتعليمه وأخبر بسرعة اندراسه وأفول نجومه إذ روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض وإن العلم سيرفع ويظهر الجهل حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يقسمها بينهما وفي رواية أخرى تعلموا الفرائض وعلموه فهو نصف العلم وهو ينسى وأول ما ينزع من أمتي وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادل)

ثم بيّن سبب تسمية الفرائض بهذا الاسم، ومناهج المؤلفين في هذا العلم قبله وعيوبهم فيما كتبوه. واختار هو أن يكتب كتابا وسطا فيه على مذهب الشافعي، بحيث يستقصي أصوله وفروعه وأقوال أئمة المذهب كما صرح بذلك، مقتصرا على هذا المذهب دون غيره، إلا ما ورد في البابين الأخيرين من الكتاب كباب الرد وتوريث الأرحام.

ولكي يجمع أبواب الكتاب عامة، ويذكر حسناته قال:

(وقد جمعت في كتابي هذا أحكام المواريث وتصحيح حسابها وطرق الاختصار فيها واثبت على جميع فنونها من الموقوفات و المناسخات واصول الدين والتركات وعويص النسب والمعاياة وميراث الحمل وولد الملاعنة والمطلقة في المرض والخناثى والمفقود ومن عمي موته وغير ذلك من الأحكام العارضة في الفرايض وذكرت فيه من الوصايا والدور مسايل كثيرة وفوايد عزيزة متى أتقن الناظر فيها قواعد أصولها وتبين ما حواه أبوابها وفصولها ارتقى به من قلل المجد إلى اشمخ ذراها واستوا في ميادين الفضل على أبعد مداها

وأوردت من الأمثلة ما لا يستغني عن مثله المتعلم ليكون له إماما وقدوة فيسلك سنته ويحذو حذوه وتحريت فيه أسهل الطرق وأقربها وأكثرها اطرادا وأصوبها اسأل الله تعالى أن يجزل الثواب في جمعه ويعظم به للطلاب بركة نفعه بمنه وخفي لطفه).

وطريقته في تقسيم الكتاب أنه جعله ثلاثة كتب جامعة ثم يقسم كل كتاب إلى أبواب، والأبواب إلى فصول. فإن أراد أن ينوع في تقسيم الفصل جعله فروعا ومسائل.

والكتب المقسمة للكتاب هي:

١ - كتاب أحكام التركات.

وهو أطول هذه الكتب وأكثرها جمعا للأبواب والفصول. وأكثر ما يميز هذا الكتاب أن المؤلف جعل فيه أبوابا عدة خاصة بحساب المسائل وأطال في ذلك جدا. حتى تكاد تبلغ المسائل الحسابية فيه ما يقارب ربع الكتاب.

ومن أبواب هذا القسم: أسباب الميراث، وأصحاب الفروض، والعصبات، والحجب، وحساب الفرائض، والانكسار، وشرح الموقوفات، وميراث الجد مع الإخوة، وميراث الجدات، والمناسخات، والولاء، وميراث الغرقى والمفقود والخناثى والحمل، والتوريث بالرد، وتوريث ذوي الأرحام.

٢ - كتاب الوصايا.

وجعله في عشرة أبواب تحتوي على فصول عديدة. ومن أبوابه: أركان الوصية، والقرعة.

٣ - كتاب الدور. وهو آخر قسم في الكتاب.

وقد كتب القلعي كتابه بلغة واضحة سهلة الفهم ليس فيها عويص

المصطلحات ولا تعقيد العبارات.

ومن الناحية العلمية نلاحظ أمورا في الكتاب. منها:

١ - أن الكتاب واضح الدلالة على تمكن القلعي من المذهب الشافعي. فهو يورد الاختلاف بين أقوال الشافعي وفي روايات تلاميذه والنقل عنه كالربيع والبويطي والمزني. وكذلك يذكر أقوال أئمة المذهب ويرجح بينها كابن اللبان والمتولي وابن سريج.

٢ - أنه في بابي الرد وتوريث ذوي الأرحام ذكر اختلاف العلماء كافة في هذا الموضوع. وهذا بيّن في معرفته بأقوال علماء المسلمين ومآخذ أدلتهم.

٣ - أن ترتيب الفصول قد لا يتفق معه كثيرون. فإن المطلع على الكتاب لا بد وأن يلاحظ أن كثيرا من مسائل الميراث الخالصة يمكن أن تضم بعضها مع بعض أفضل مما رتبها المؤلف. لأنه جعل مسائل القسمة والحساب فاصلا بين مسائل فقهية في الميراث. وكان من حق أبواب الحساب أن تؤخر لما بعد مسائل الفقه الخالصة. على أن هذه ملاحظة تتعلق بالترتيب فحسب، ولا تقلل أبدا من قسمة الكتاب ودلالته على علم القلعي ومكانته الفقهية.

٤ - أن الكتاب _على اختصاره_ قد جمع عموم المسائل في الميراث، حتى النادر منها.

هذا ما تيسر لي تعليقه على كتاب (إيضاح الغوامض) للقلعي. وإنما اعتمدت عليه لأن كتاب أي مؤلف هو خير دليل على علمه وأدبه وطريقته. ولا يكفي في هذا المقام أن يُستغنى في التعرف على أحد _له علم وسمعة ومكانة_ بكلام غيره من المؤرخين والعلماء خاصة ممن لم يكن معاصرا للمكتوب عنه.

الفهرس

للاطلاع على قائمة إصداراتنا :

بيت الغشام للنشر والترجمة

طبع بمطابع مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان